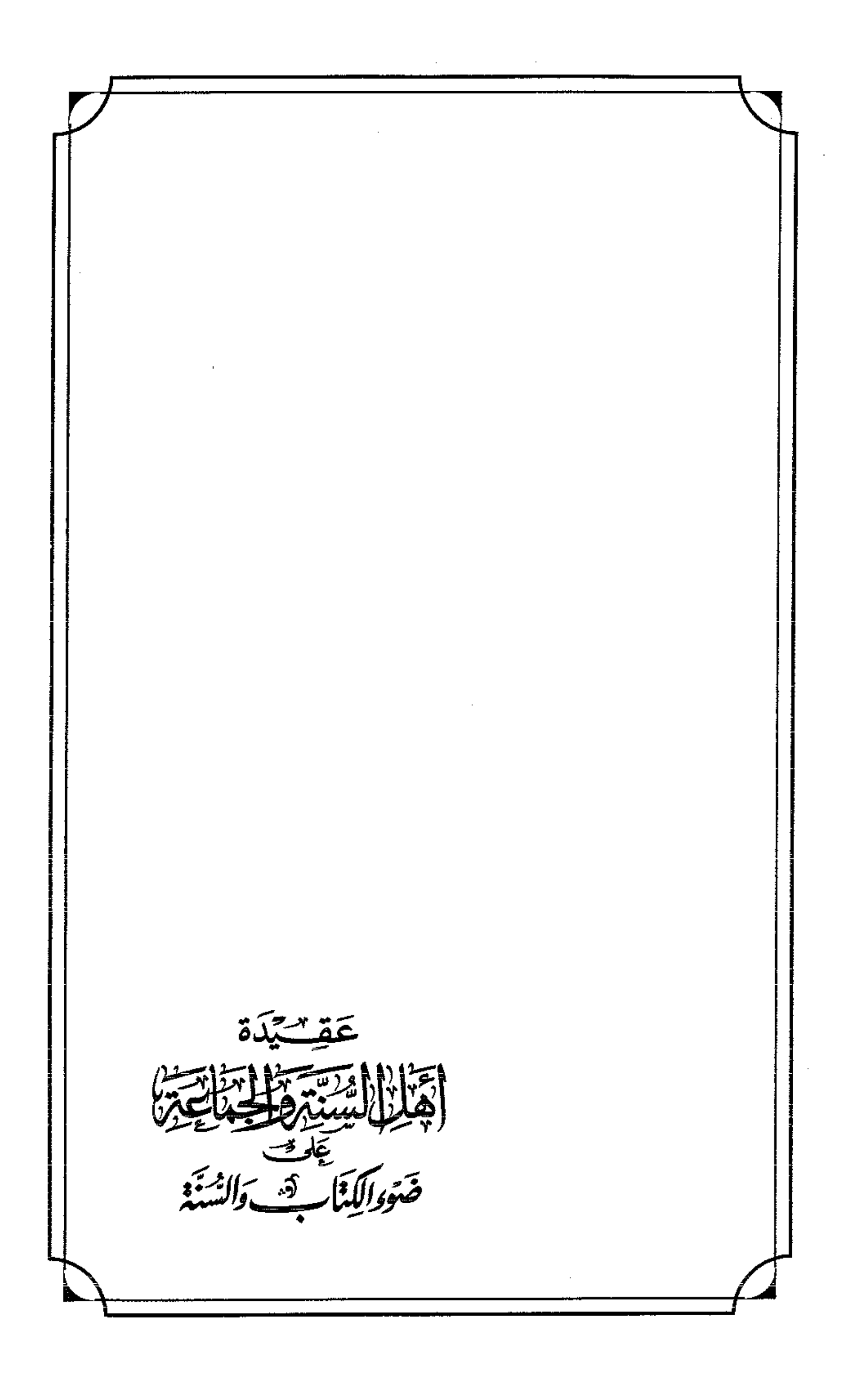

عقيدة
أهل السنة والجماعة
على
ضوء الكتاب والسنة

فسحت لهذا الكتاب إدارة المطبوعات بمكة المكرمة
تحت رقم ١٣٧٥/٢/م
بتاريخ ٢١/ ٩/ ١٤٢١هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار طيبة الخضراء

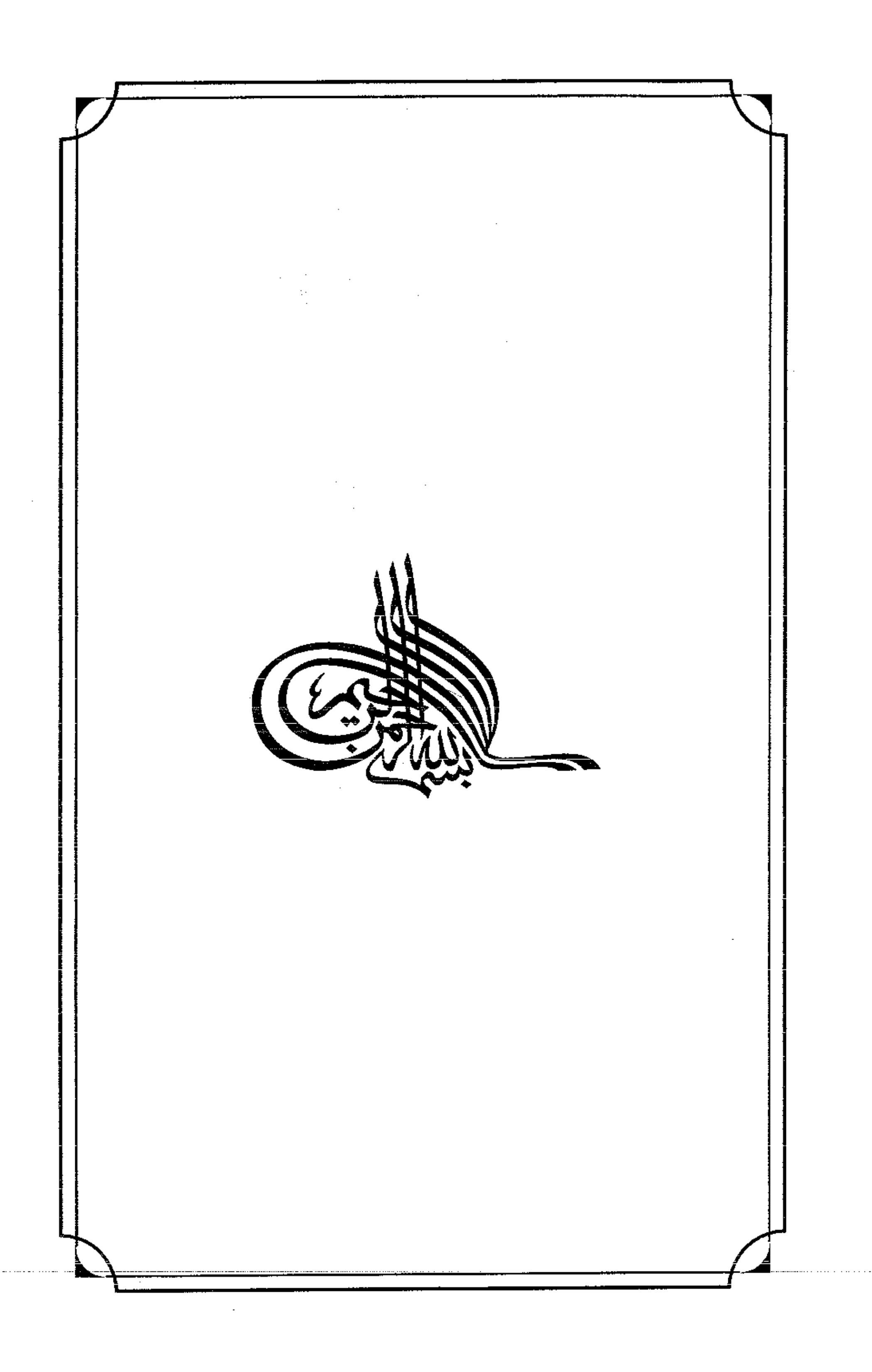
مكة المكرمة - العزيزية - بجوار الجامعة - ت: ٥٥٨٩٠٢٧ - ٥٥٨٩٧٨٠ - فاكس: ٥٥٦٢٩٨٦

عقيدة
أهل السنة والجماعة
على
ضوء الكتاب والسنة

تأليف
الدكتور سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني
دكتوراه في العقيدة من كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

تقديم
فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي
أستاذ العقيدة بالدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

فإن «العقيدة» هي القاعدة التي يقوم عليها بناء الإسلام، فإذا كانت القاعدة صحيحة سليمة، فإن البناء يكون صحيحًا سليمًا، ولم يحدث الخلل في المجتمع الإسلامي إلاَّ بسبب ضعف العقيدة لدى كثير من المسلمين.

ولهذا فقد عُني العلماء في كل عصرٍ بدراسة العقيدة وبيانها والدفاع عنها.

فقد أُلِّفَت عشرات بل مئات الكتب لبيان العقيدة وتوضيحها والرد على المخالفين والمبتدعين الذين أضافوا عقائد باطلة أو فَهِمُوا عقائد خاطئة.

وقد تعددت المناهج في عرض العقيدة وتنوعت أساليب العرض، وذلك بحسب منهاج الباحثين وتصوراتهم عن العقيدة.

ويبقى المنهج السلفي هو الواحة التي يأوي إليها الباحثون عن الحق الراغبون في النجاة.

وقد أراد فضيلة الشيخ الدكتور/ سعيد بن مسفر القحطاني أن يسهم في هذا الباب ويجمع شتات ما تفرق في كثير من الكتب، ويعرض بأسلوب سهل يتناسب مع كل المستويات، فجمع في كتابٍ واحدٍ جُل ما يحتاج المسلم مستدلاً بأدلة من الكتاب والسنة وأقوالَ

الأئمة مع مراعاة الاختصار والإيجاز، وتطعيم ذلك ببعض مواقفه الشخصية ومناظراته العلمية مع بعض من خالف السلف في المنهج والمعتقد.

وقد حرص ـ وفَّقه الله ـ على أن يلتزم منهج السلف في تقرير المسائل والرد على المخالفين، إذ المنهج السلفي الذي كان عليه سلف الأئمة وسار عليه من جاء بعدهم من علماء الأمة ومحققيها هو المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه ونشره والدفاع عنه لاعتماده على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها، ولم يحدث في الأمة الانحراف والافتراق إلاَّ بسبب مخالفة هذا المنهج.

وحريٌّ بكل داعية ومؤلف أن يركِّز عليه في محاضراته وكتاباته ودروسه وندواته لرفع هذا الخلاف في الأمة وجمع كلمتها واتحاد جماعتها.

ولن تستطيع الأمة أن تواجه خصومها وتقوم بواجباتها في ظل النزاع والخلاف.

ولن يجمعها ويوحد موقفها إلاَّ اتباع السلف الصالح والسير على منهاجهم.

ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام أنه لا اجتهاد في اتخاذ المواقف فيما جد في حياة الناس من قضايا وأحداث مما لم يكن معروفًا في عهد السلف.

بل يجب على علماء الأمة ودعاتها أن يجتهدوا في بيان أحكام الجديد وتحديد المواقف الصحيحة على ضوء الأدلة الشرعية التي

هي مصدر الدين عقيدة وشريعة وذلك في ظل المنهج السلفي الذي يحرص على استلهام النص واستنباط الحكم من دلالته. ثم لو أخطأ المجتهد في النتيجة فلا يحرج عليه ولا يشنع وإنما يناظر في ظل الأخوة الإسلامية والمحبة الإيمانية حرصًا على وحدة الأمة وقوة كلمتها.

هذا وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يكتب لمؤلفه الأجر والثواب إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

أ.د. أحمد سعد حمدان الغامدي
أستاذ العقيدة بالدراسات العليا
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة
٢١/٧/١٤٢١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع شريعته ودعا إلى ملته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ قضايا العقيدة وأصول دين الإسلام من المسائل الهامة التي عني علماء أهل السنة والجماعة بتقريرها وتأصيلها، وتحقيقها وتوضيحها كي لا يلتبس على الناس أمرها، فيقعوا في الضلالات والأهواء التي خدع بها الكثير من الناس حينما جانبوا الصواب في طرق الاستدلال على مسائل العقيدة والتي تعتمد على الكتاب والسنة بجميع نصوصهما، ورد التنازع إليهما ورد التعارض بين تلك النصوص، واعتبار ظواهرها مطابقة لمراد الشرع على فهم السلف الصالح.

هذه القواعد أوجدت الحماية لأهل السنة والجماعة، من الوقوع في الضلالات فدافعوا عن العقيدة وذادوا عن حياضها وحملوا رايتها وحفظوا للأمة دينها، وقاوموا تلك الانحرافات الشاذة التي أطلَّت برأسها لتصبح فِرَقًا ونِحَلاً، تخالف ما اجتمعت عليه جماعة المسلمين مثل: الخوارج والرافضة، والقدرية والمرجئة، ثم ازداد هذا الانقسام بين تلك الفرق ووقع الخلاف وظهرت الفرقة بسبب الاستبداد في الرأي والاعتماد على العقل ومعارضة النصوص

حتى وقع ما أخبر به النبي ﷺ من افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة قيل: من هي يارسول الله قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(١)

وهذه الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة والذين تكفل الله بظهور أمرهم في قوله ﷺ: «**لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من كذبهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»(٢).

وأهل السنة والجماعة لهم عقيدتهم الصافية ومنهلهم العذب الذي حاولت جمعه وتقريره في هذا الكتاب بأسهل عبارة وأبسط أسلوب، لعله يحقق الغرض والغاية التي كتبته من أجله، وهو نفع كافة الناس بمختلف مستوياتهم وتباين ثقافتهم، وقد أدركت مدى الحاجة إليه حين طُلِبَ مني في صيف عام (١٤١٩هـ)، أن أشارك في الدورة العلمية التي عقدت بمدينة أبها، وذلك بتدريس مادة العقيدة، وقد طلب الدارسون أنَّ أقرر عليهم كتابًا جامعًا لمسائل وقضايا العقيدة بشكل مختصر، ومدعم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، فقمت بوضع أساس هذا الكتاب ثم عزمت على تطويره ليشمل معظم القضايا العقدية على المنهج الذي ذكرته في تعريفي لعنوان هذا الكتاب والذي رأيت أن أسميه بـ «عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة»، ويتكون هذا الكتاب من

---

(١) رواه أبوداود: (٤٥٩٦) وقال عنه الألباني حسن صحيح: (٣٨٤٢)، رواه ابن ماجة: (٣٩٩١).

(٢) رواه البخاري: (٧٤٦٠).

مقدمة وتعريف وثلاثة عشر بابًا تحت كل باب عدة مباحث.

أرجو الله أن يتقبل هذا العمل مني وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعني بما كتبت يوم فقري وحاجتي، وأن يعفو عن زللي ويغفر لي خطئي إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

د/ سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني
مكة المكرمة في ٨/ ٧/ ١٤٢١هـ
دكتوراه في العقيدة من كلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى

تمهـــيد
تعريف عنوان الكتاب
عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة

يتضمن عنوان الكتاب ثلاث مسائل رئيسة:

الأولى: تعريف كلمة «عقيدة».

الثانية: تعريف «أهل السنة والجماعة».

تعريف «معنى على ضوء الكتاب والسنة».

أولاً: كلمة العقيدة رغم عدم ورودها في كتاب الله عزَّوجل أو في سنة رسوله ﷺ بالمدلول الشائع إلاَّ أنها من المصطلحات الجديدة التي استعملت للدلالة على مسائل الدين المتعلقة بالقلب دون العمل كالإيمان بوجودالله سبحانه ووجوب توحيده والإيمان بالرسل، وبالبعث بعد الموت وغير ذلك من مسائل الاعتقاد، وقد أُخِذَ استعمالها من مدلولها اللغوي.

فهي من العقد والتوثيق والربط على الشيء بشدة تقول العرب: «اعتقد الشيء صلب واشتد»[1] ومن قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾[2].

أما تعريفها في الاصطلاح: فهي الإيمان الجازم الذي ينبعث من أعماق النفس البشرية ولا يخالطه أو يتطرق إليه أدنى شك بالله عزَّ

---

(١) لسان العرب لابن منظور، باب عقد.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

وجل وما يجب له من التوحيد والطاعة وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وجميع ما ورد من أمور الغيب مع معرفة ما يضاد ذلك من الأديان المحرفة، والفرق الضالة، ولا اعتبار للعقيدة بهذا المفهوم مالم يظهر أثرها، بشكل عملي على الجوارح بالخضوع والالتزام بمقتضيات ذلك الاعتقاد.

ثانيًا: أهل النسة والجماعة: هم الذين على هدى الرسول ﷺ وأصحابه علمًا واعتقادًا وقولاً وعملاً، وأدبًا وسلوكًا، وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، واستقاموا على الاتباع وجانبوا الفُرقة والابتداع ويطلق عليهم السلف الصالح، والفِرقة الناجية والطائفة المنصورة وإنما اشتهرت التسمية به عندما ظهر الابتداع فأطلقت السنة مقابل البدعة والجماعة مقابل الافتراق.

وقد سموا بأهل السنة لاتباعهم لسنة النبي ﷺ وسموا بالجماعة لاجتماعهم على الحق و اتباعهم لمنهج أئمته.

ثالثًا: على ضوء الكتاب والسنة: من أصول أهل السنة والجماعة وقواعدهم في التلقي والاستدلال اعتمادهم على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، على فهم السلف الصالح، وقبول ذلك، والتسليم له، ظاهرًا وباطنًا، وعدم معارضته بقياس، أو ذوق، أو كشف، أو منام، أو غير ذلك، وفي عرضي لمسائل العقيدة في هذا الكتاب التزمت بالاستدلال على تلك المسائل بصريح الكتاب العزيز وبصحيح السنة المطهرة، حيث أورد المسألة، ثم أنقل كلام الأئمة، حسب ترتيبهم الزمني، مكتفيًا في الغالب بالنقل عن ثلاثة علماء.

بعد ذلك أورد الأدلة وأبدأ بأدلة القرآن الكريم، في حدود ثلاث آيات ثم أدلة السنة في حدود ثلاثة أحاديث، وذلك لئلا يطول الكتاب، وقد حرصت على ألاَّ أورد إلاَّ حديثاً صحيحًا اتفق عليه الإمامان البخاري ومسلم، أو رواه أحدهما أو ثبتت صحته عند غيرهما حسب قواعد المحدثين في التصحيح.



الباب الأول
مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **أصول عقيدة أهل السنة والجماعة.**

المبحث الثاني: **خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.**

المبحث الأول
أصول عقيدة أهل السنة والجماعة

١ـ مصدر العقيدة هو كتاب الله عزَّوجل وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح.

٢ـ كل ماورد في القرآن الكريم وصح وثبت من سنة الرسول ﷺ فهو شرع للمسلمين يجب قبوله وإن كان آحادًا

٣ـ المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم من أئمة الهدى

٤ ـ لقد أتم الله النعمة على الأمة بإكمال دينها، فليس لأحد تحت أي ستار أن يحدث شيئًا في دين الله زاعمًا أنه منه

٥ ـ يجب التسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، فلا يُعَارَضُ شيء من الكتاب والسنة الصحيحة بقياس أو ذوق أو كشف أو منام أو قول شيخ أو إمام.

٦ـ العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيًا بينهما وعند توهم التعارض يقدم النقل على العقل.

٧ ـ يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة وتجنب الألفاظ البدعية، لأنَّ دلالات الألفاظ واسعة.

٨ـ العصمة ثابتة لرسول الله ﷺ فيما أمره الله بتبليغه للناس وكذلك الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة أما في أفرادها فلا عصمة لأحد منهم بل كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلاَّ النبي ﷺ فيما يبلغه للناس من دين الله.

٩ ـ المرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطيء من مجتهدي الأمة وسؤال الله له بالمغفرة.

١٠ـ الرؤيا الصالحة حق وهي جزء من النبوة والفراسة حق بشرط موافقتها للشرع غير أنها ليست مصدرًا للعقيدة ولا للتشريع.

١١ـ المِرَاءُ في الدين مذمومٌ، والمجادلة بالحسنى للبحث عن الحق مشروعة، ويجب الكف عما صح النهي عن الخوض فيه .

١٢ـ يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد فلا ترد البدعة ببدعة ولا يقابل الغلو بالتفريط.

١٣ـ كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

١٤ـ الأصل في أسماء الله وصفاته إثبات ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ونفي مانفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل بل نؤمن بأنه سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص وما دلت عليه، وعدم تكييفها أو تعطيلها عن معناها.

١٥ـ الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً وأما على التفصيل فبما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم.

١٦ـ الإيمان بالكتب المنزلة وأنَّ القرآن الكريم ناسخًا لها وأنَّ ما قبله من الكتب طرأ عليه التحريف.

١٧ـ الإيمان بالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأنهم

أفضل ممن سواهم من البشر.

١٨ـ الإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد ﷺ، وأنه خاتم النبيين والمرسلين.

١٩ـ الإيمان باليوم الآخر وما يتقدمه من العلامات والأشراط.

٢٠ـ الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وذلك بالإيمان بأنَّ الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون إلاَّ ما يشاء، وأنه على كل شيء قدير فهو خالق كل شيء وفعال لما يريد.

٢١ـ التصديق والإيمان بما صح به الدليل من المغيبات كالعرش والكرسي والجنة والنار ونعيم القبر وعذابه والصراط والحوض والميزان وغيرها دون تأويل شيء من ذلك.

٢٢ـ الإيمان بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم يوم القيامة لمن ـ رضي الله عنهم ـ وأَذِنَ في الشفاعة لهم على التفصيل الذي وردت به الأدلة.

٢٣ـ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حق، ومن أنكرها أو أوَّلها فهو زائغ ضال.

٢٤ـ كرامات الأولياء حق وليس كل أمر خارق للعادة كرامة بل قد يكون استدراجًا وقد يكون من تأثير الشياطين والضابط في ذلك موافقة الكتاب والسنة أو عدمها.

٢٥ـ لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عزَّ وجل فهو وحده المستحق للعبادة فلا شريك له في ربوبيته وألوهيته

وأسمائه وصفاته فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والاستعانة والنذر والذبح والتوكل والخوف والرجاء ونحوها لغير الله فقد أشرك.

٢٦ـ من أصول العبادة أنَّ الله يعبد بالحب والخوف والرجاء جميعًا فمن عبده بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء.

٢٧ـ يجب التسليم والرضا والقبول والطاعة المطلقة لله عزَّوجل ولرسوله ﷺ في جميع الأحكام واعتقاد أنَّ التحاكم إلى الطاغوت وتشريع مالم يأذن الله به وإتباع غير شريعة الإسلام، أو تبديل شيء منها كفر.

٢٨ـ تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل.

٢٩ـ لا يعلم الغيب إلاَّ الله وحده وقد يُطْلِعُ الله بعض رسله على شيء من الغيب واعتقاد أنَّ أحدًا غير الله يعلم الغيب كفر

٣٠ ـ اعتقاد صدق الكهنة والمنجمين كفر والذهاب إليهم كبيرة.

٣١ـ الوسائل لها حكم المقاصد وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها والمنع منها.

٣٢ـ لايجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلاَّ من ثبت النص في حقه.

٣٣ـ التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل مالم يدل دليل شرعي على ذلك ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت

موجبه في حق المعين إلاَّ إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، لأنَّ التكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.

٣٤ـ القرآن الكريم هو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وهو معجز ومحفوظ إلى يوم القيامة.

٣٥ـ الهداية والضلال بيد الله تعالى فمن هداه الله فبفضله ومن أضله فبِعَدْلِه.

٣٦ـ العباد وأفعالهم من مخلوقات الله، فالله خالق لأفعال العباد وهم فاعلون لها على الحقيقة.

٣٧ـ لا يجوز التفرق في الدين ولا زرع الفتنة بين المسلمين وما اختلف فيه المسلمون فعليهم رده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح.

٣٨ـ من خرج على الجماعة وجب نصحه ودعوته ومحاورته بالتي هي أحسن وإقامة الحجة عليه فإن تاب ورجع وإلَّا عوقب بما يستحق شرعًا.

٣٩ـ الإمامة تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم ومن تغلَّب واجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته في المعروف وحرم الخروج عليه إلاَّ إذا أظهر كفرًا بواحًا فيه من الله برهان.

٤٠ـ الصحابة الكرام كلهم عدول وهم أفضل هذه الأمة ومحبتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق مع الكف عماشجر بينهم، وأفضلهم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون.

٤١ـ من الدين محبة آل بيت النبي ﷺ وتوليهم وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين ومعرفة فضلهن ومحبة أئمة السلف وعلماء الأمة، ومجانبةً وبغض أهل البدع والأهواء.

٤٢ـ الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وهو ماض إلى يوم القيامة.

٤٣ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام وأسباب حفظ حرماته وهما واجبان بحسب الطاقة والضوابط الشرعية مع اعتبار المصلحة في ذلك.

٤٤ـ الأصل في المسلم السلامة حتى يظهر خلاف ذلك ولا يجوز امتحان عامة المسلمين في الأمور الدقيقة والمعاني العميقة، وإنما يحملون على الجمل الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع[١].

---

(١) انظر: أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة للدكتور: ناصر العقل، أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاق الكبرى لمحمد عبد الهادي المصري، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة للدكتور مانع الجهني.

المبحث الثاني
خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة

لقد تميَّز أهل السنة بخصائص وسمات يعرفون بها دون غيرهم من أهمها:

١ـ الاهتمام بكتاب الله تعالى حفظًا وتلاوة وتدبرًا وتفسيرًا وعملاً وتطبيقًا والاهتمام بالحديث النبوي الشريف ومعرفة صحيحه من سقيمه مع فهمه وإدراك معانيه ثم اتباع العلم بالعمل.

٢ـ الدخول في الدين كله والإيمان بالكتاب كله وعدم تشطير الدين أو تجزئته وتشليحه والانتقاء منه لما يوافق الهوى.

٣ـ الاتباع وترك الابتداع والاجتماع ونبذ الاختلاف.

٤ـ الاقتداء بالسلف الصالح وأئمة الهدى من الصحابة ومن سار على نهجهم.

٥ـ التوسط في الاعتقاد بين فرق الغلو وفرق التفريط، وفي الأعمال والسلوك بين المُفْرطين والمفرِّطين.

٦ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق ومحاربة كل أسباب الفرقة والاختلاف.

٧ـ القيام بالدعوة الشاملة إلى دين الله عقيدة وشريعة وعبادة وسلوكًا وأخلاقًا.

٨ ـ الإنصاف والعدل ومراعاة حق الله لا حقَّ النفس أو الحزب أو الطائفة ولهذا لا يغلون في مُوالٍ ولا يجورون على مُعادٍ ولا يغمطون ذا فضل فضله ولا يقدسون الأئمة بل كل يُؤخذ من

قوله ويُرد إلاَّ النبي ﷺ.

٩ـ يقبلون تعدد الاجتهادات فيما بينهم في مسائل الخلاف مع مراعاة الآداب التي أرشدهم إليها ربهم عزَّوجل ورسولهم ﷺ.

١٠ـ يراعون المصالح والمفاسد ويعلمون أنَّ الشريعة إنما جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد حيث درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

١١ـ يرون أنَّ أصحاب البدع متفاوتون في بدعهم بحسب بُعدهم وقربهم من السنة ويعاملون كلاًّ بما يستحق.

١٢ـ يفرقون بين الحكم المطلق على أصحاب البدع عامة بالمعصية أو الفسق أو الكفر، وبين الحكم على المعين حتى يتبين موقفه وإقامة الحجة عليه.

١٣ـ لا يرون تفسيق أو تكفير أو تأثيم أحد من علماء المسلمين لاجتهاد خاطيء أو تأويل بعيد خصوصًا في المسائل المختلف فيها.

١٤ـ يقومون ببيان حال أهل البدع والنصح لهم والتحذير منهم وإظهار السنة.

١٥ـ فِرَق أهل القبلة المخالفة للسنة متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد، إلاَّ من كان منهم كافرًا في الباطن.

١٦ـ من سماتهم التوافق في الأفهام والتشابه في المواقف رغم تباعد الأمصار والأعصار وذلك لاتحاد مصدر التلقي[١].

---

(١) انظر: مجمل أصول أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل، ومنهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجل لأحمد الصويان، الموسوعة الميسرة للدكتور مانع الجهني.

الباب الثاني
الإيمـــان

وتحته مباحث :

المبحث الأول: **تعريف الإيمان.**

المبحث الثاني: **زيادة الإيمان ونقصانه.**

المبحث الثالث: **الفَرْق بين الإيمان والإسلام.**

المبحث الرابع: **الاستثناء في الإيمان.**

المبحث الخامس: **حكم مرتكب الكبيرة.**

المبحث السادس: **شعب الإيمان.**



المبحث الأول
تعريف الإيمان

الإيمان في اللغة: مصدر من آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن.

قال الجوهري: الإيمان هو التصديق(١).

وقال ابن منظور: الإيمان معناه التصديق (٢).

وقال الرازي: الإيمان: التصديق (٣)، ويقول أخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ (٤) أي بمصدق لنا.

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية من جعل الإيمان بمعنى التصديق، وردَّ عليهم من وجوهٍ كثيرة، ويرى أنَّ أقرب لفظ له هو الإقرار(٥).

الإيمان في الاصطلاح: اتفق أهل السنة والجماعة على أنَّ الإيمان يتكون من ثلاث حقائق أساسية لابدَّ من توفرها حتى يصير الإيمان حقيقيًّا.

الأولى: حقيقة قولية وهي النطق بالشهادتين وإشهار ذلك وإعلانه.

الثانية: حقيقة قلبية وهي اعتقاد صدق ما نطق به اللسان،

---

(١) الصحاح للجوهري: (٥/ ٢٠٧١).

(٢) لسان العرب لابن منظور: (١٣/ ٢٣).

(٣) مختار الصحاح للرازي: (١١).

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٥) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (١٥٩٠).

والإخلاص في ذلك والانقياد له.

الثالثة: حقيقة عملية: وهي ترجمة ما نطق به اللسان، واعتقده القلب، وإظهاره إلى الواقع العملي بخضوع الجوارح وانقيادها لأداء ما أمر الله، وترك ما حرَّم الله.

يقول الإمام أبوثور: الإيمان التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح[١] وقد عقد الإمام الآجري بابًا في كتابه الشريعة فقال: «باب القول بأنَّ الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل الجوارح ولايكون مؤمنًا إلاَّ أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث»[٢].

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (١٥٩٠).

(٢) الشريعة للآجري: (١١٩).

المبحث الثاني
زيادة الإيمان ونقصانه

من المسائل المتعلقة بتعريف الإيمان مسألة زيادته ونقصانه ومذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وقد أورد الإمام اللالكائي ـ رحمه الله ـ أسماء جماعة من الصحابة والتابعين والأئمة ممن قال بهذا القول تحت عنوان: «سياق ما دلَّ أو فُسِّر من الآيات من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين من علماء أئمة الدين أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ثم ذكر من قال هذا من الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وغيرهم.

ومن التابعين: سفيان الثوري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

ومن الفقهاء: الإمام مالك وجرير بن عبدالحميد وأحمد بن حنبل وغيرهم.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على القول بزيادة الإيمان ونقصانه بما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[٢].

٣ـ قوله تعالى: ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢.

يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾(١)، ووجه الدلالة في الآيات واضح في أنَّ الإيمان يزيد وما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقصان.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١ـ قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لاإلٰه إلَّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(٢).

٢ـ قوله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيقول الله عزَّوجل: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ألم تر أنَّها تخرج صفراء ملتوية**»(٣).

٣ـ بوَّب البخاري بابًا في صحيحه لبيان زيادة الإيمان ونقصانه فقال: «باب زيادة الإيمان ونقصانه ثم ساق الآيات السابقة وغيرها كما أورد حديث النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لاإلٰه إلَّا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لاإلٰه إلَّا الله وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خير ويخرج من النار من قال لاإلٰه إلَّا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**»(٤)ووجه الاستدلال في هذه الأحاديث واضح ولله الحمد والمنَّة.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) رواه البخاري حديث: (٩) ومسلم: (٣٥).

(٣) رواه البخاري: (٢٢)، ومسلم حديث: (١٨٣).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ص١٢٧، باب رقم٣٣.

المبحث الثالث
الفرق بين الإيمان والإسلام

هل الإيمان والإسلام بمعنى واحد أم أنَّ بينهما فرقًا ولكل واحد منهما معنى يخالف الآخر، هذه المسألة مما اختلفت فيها أقوال أهل السنة والجماعة إلى قولين مشهورين:

القول الأول: «أنَّ الإسلام والإيمان متغايران وأنَّ بينهما فرقًا وإلى هذا ذهب جماعة من العلماء منهم:

١ـ الإمام الزهري حيث يرى: أنَّ الإسلام الكلمة والإيمان العمل»[١].

٢ـ الإمام أحمد نقل عنه عبدالملك الميموني قال: «قلت لأبي عبدالله تفرق بين الإيمان والإسلام قال نعم»[٢].

٣ـ الإمام محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب حيث نقل عنه الإمام أحمد قوله: «الإسلام القول والإيمان العمل»[٣]، وأشار إلى هذا الإمام ابن عبدالبر في التمهيد[٤] والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة[٥].

القول الثاني: أنه لافرق بين الإسلام والإيمان وإنهما بمعنى

---

(١) انظر: كتاب ا لإيمان لابن منده: (١/ ٣١١).

(٢) انظر: كتاب السنة للخلال: (٣/ ٦٠٤).

(٣) المصدر السابق: (٣/ ٦٤٠).

(٤) التمهيد لابن عبد البر: (٩/ ٢٤٩).

(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (١/ ٤٠٦).

واحد، وممن قال بذلك من العلماء:

١ـ الإمام محمد بن نصر المروزي حيث يقول: «وقالت طائفة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث: الإيمان الذي دعا الله العباد إليه، وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله دينًا وارتضاه لعباده ودعاهم إليه»[١].

٢ـ الإمام ابن عبدالبر حيث يقول: «الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أنَّ الإيمان والإسلام سواء»[٢].

٣ـ الإمام ابن منده الذي عقد بابًا لذلك فقال: «ذكر الإخبار الدالة والبيان الواضح أنَّ الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد»[٣]، والذي يظهر لي أنَّ الخلاف بين علماء أهل السنة والجماعة في هذه المسألة له احتمالان:

الأول: أن يكون القائلون بأنهما شيء واحد أرادوا بذلك إذا وردا منفردين فلا شك أنَّ هذا صحيح وأنَّ الإسلام إذا جاء ذكره لوحده في دليل دخل فيه الإيمان وكذلك العكس إذا جاء الإيمان لوحده دخل فيه الإسلام فلا خلاف حينئذٍ بين القولين.

الثاني: أنهم أرادوا أنَّ مسمى كل واحد هو مسمى الآخر وإن اجتمعا فلا شك أنَّ هذا مرجوح للأدلة الكثيرة التي فرقت بينهما ومن أشهرها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي: (٢/٥٢٩).
(٢) التمهيد لابن عبدالبر: (٩/٢٥٠).
(٣) الإيمان لابن منده: (١/٣٢١).
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [١] فقد عطف الإيمان على الإسلام: والشيء لا يعطف على نفسه فعلم أنَّ الإيمان معنى يختلف عن الإسلام، وكذلك حديث جبريل المتفق على صحته حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان فأجابه النبي ﷺ بإجابتين مختلفتين ولو كانا شيئًا واحدًا لكانت الإجابة واحدة.

وقد حاول الإمام ابن رجب أن يجمع بين النصوص بتقرير أصل هو: «أنَّ من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده واطلاقه فإذا قرن ذلك الإسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات والإسم المقرون به دال على باقيها وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج فإذا قرن أحدهما بالآخر دلَّ أحد الإسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات ودلَّ الآخر على باقيها، وهكذا إسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودلَّ بانفراده على مايدل عليه الآخر بانفراده فإذا قرن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودلَّ الآخر على الباقي»[٢].

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب: (٣٤).

المبحث الرابع
الاستثناء في الإيمان

هذه المسألة معروفة عند العلماء باسم الاستثناء في الإيمان وهي أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله.

وقد تعددت أقوال الناس في الاستثناء في الإيمان إلى ثلاثة أقوال ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ طرفان ووسط.

القول الأول: تحريم الاستثناء وهوقول المرجئة[(١)] والجهمية[(٢)] ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول أحدهم: «أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم أنني قرأت الفاتحة وكما أعلم أني أحب رسول الله ﷺ وأني أبغض اليهود

---

(١) المرجئة: من الفرق التي احتلت مكانًا كبيرًا من اهتمام العلماء لبيان معتقداتهم التي تتلخص في بعض المسائل الهامة كتعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب، وأنَّ العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان وأنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأنَّ أصحاب المعاصي مؤمنون كاملوا الإيمان، وقد وجد الفساق في هذ المذهب بابًا لكل مفسدة ولهذا قال زيد بن علي: «أبرأ إلى الله من المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله» انظر: الملل والنحل: (١٣٩).

(٢) الجهمية: إحدى الفرق الضالة ذات الآراء الخاطئة في مفهوم الإيمان وصفات الباري سبحانه وأسمائه وتنسب إلى جهم بن صفوان الذي دعا إلى كثيرمن الكفريات والبدع والضلالات وإطلاق لفظ الجهمية له معنيان عند العلماء معنى خاص يُقصد به من قال بأقوال جهم كنفي الصفات والقول بالجبر والقول بفناء الجنة والنار، ومعنى عام يقصد به نفاه الصفات عامة: انظر: سير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٦)، والفرق بين الفرق: (٢١١).

والنصارى فقَولي: أنا مؤمن كقَولي: أنا مسلم وكقَولي: تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي: أنا أبغض اليهود والنصارى ونحو ذلك من الأمور التي أنا أعلمها وأقطع بها وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن إن شاء الله، لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول: فعلته إن شاء الله قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكة.

القول الثاني: إيجاب القول بالاستثناء وأنه يجب على المسلم أن يستثنى و لايجزم بأنه مؤمن وهو قول القاضي أبي يعلى[(١)] وغيره، وقد استدلوا على هذا القول بأمور:

١ـ إنه لو جاز القطع على أننا مؤمنون لكان ذلك قطعًا على أننا في الجنة لأنَّ الله وعد المؤمنين بالجنة ولا يجوز القطع على الوعد بالجنة لأنَّ من شرط ذلك الموافاة بالإيمان ولا يعلم ذلك إلاَّ الله وكذلك الإيمان إنما يحصل بالموافاة ولا يُعلم ذلك ولهذا قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هلا وكَلَ الأولى كما وكَلَ الآخرة يريد بذلك ما استدل به من أنَّ رجلاً قال عنده: إني مؤمن فقيل لابن مسعود: هذا يزعم أنه مؤمن قال: فسلوه أفي الجنة هو أو في النار فسألوه فقال: الله أعلم فقال عبدالله بن مسعود: «فهلا وَكلت الأولى كما وَكَلْت الثانية».

(١) شيخ الحنابلة القاضي محمد بن الحسن المشهور بأبي يعلى قال عنه الذهبي: كان إمامًا لا يدرك قراره ولا يشك غباره وجميع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره له بعض الأخطاء الكلامية توفي سنة: (٤٥٨)، سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٨٩)، وشذرات الذهب: (٣/ ٣٠٦).

٢ـ أن الاسم عند الإطلاق يقتضي الكمال، وهذا غير معلوم للمتكلم كما قال أبوالعالية: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول إيماني كإيمان جبريل، فإخبار الرجل عن نفسه أنه كامل الإيمان خبر بما لا يعلمه.

٣ـ إنَّ ذلك تزكية للنفس وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]

القول الثالث: جواز الاستثناء دون إيجابه وهذا أصح الأقوال وهو مذهب أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة الدين، فإنهم كانوا يستثنون وهذا متواتر عنهم ولكن ليس في هؤلاء من قال: «أنا أستثنى لأجل الموافاة وأنَّ الإيمان إنما هو إسم لما يوافي به العبد ربه بل صرح هؤلاء بأنَّ الإستثناء إنما لأنَّ الإيمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كما لايشهدون لها بالبر والتقوى فإنَّ ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم»[2].

لكن الروايات التي ساقها الخلاَّل في كتاب السنة عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ توحي بتأكيده وتأييده الشديد للاستثناء واستحبابه وعدم تركه لا على أساس أصل الإيمان وإنما على أساس العمل ولذا قال للرجل الذي يعيب عليه الاستثناء: أليس الإيمان قولاً

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٤٢٩،٧ ـ ٤٦٠، ٦٦٦، ٦٦٩).

وعملاً فقال الرجل: بلى، قال: فجئنا بالقول قال: نعم، قال فجئنا بالعمل قال: لا قال: فكيف تعيب أن نقول إن شاء الله ونستثنى[١].

وعلى هذا يكون القول بالاستحباب قولاً رابعًا لأنَّ الاستحباب وسط بين الإيجاب والجواز، وهو مايفهم من كلام الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

(١) السنة للخلال: (٣/ ٥٩٧).

المبحث الخامس
حكم مرتكب الكبيرة

أحكام مرتكب الكبيرة من مسائل العقيدة التي تباينت فيها آراء الناس وذهبوا فيها إلى أربعة أقوال:

القول الأول: أنَّ مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة وهذا قول الخوارج[١]، وهو من أصولهم المعتمدة الذي رتبوا عليه استحلال دماء المسلمين والقول بوجوب الخروج على أئمة الجور؛ لأنهم في نظرهم كفار.

القول الثاني: أنَّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافرًا ولكنه في منزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا، أما في الآخرة فلا

---

(١) الخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام وقد انقسموا إلى أكثر من عشرين فرقة أشهرها المحكمة الأولى والأزارقة والنجدات والعجاردة والإباضية والصفرية، ومن مبادئهم الأساسية وجوب الخروج على الأئمة لارتكابهم الفسق والظلم وانكار الشفاعة وتكفير بعض الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص وأبوموسى الأشعري، وكل من رضي بالتحكيم والحكم بالكفر على مرتكب الكبيرة وذلك بسبب وضعهم للأدلة في غير موضعها واستدلالهم بها دون فهمها.

يقول عنهم عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ذهبوا إلى الآيات التي أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. انظر: الملل والنحل للشهرستاني: (١/ ١٢٤)، ومقالات الإسلاميين: (٨٦).

يدخل الجنة، بل هو خالد مخلد في النار، وهذا قول المعتزلة[١].

القول الثالث: أنَّه مؤمن كامل الإيمان وهو قول المرجئة المبنى على معتقدهم بأنه لا يضرمع الإيمان معصية ولا مع الكفر طاعة[٢].

القول الرابع: أنَّ صاحب الكبيرة لا يسلب اسم الإيمان على الإطلاق، ولا يُعطى له على الإطلاق، وإنما هو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، تحت مشيئة الله في الدار الآخرة، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له. وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وإليك بعض أقوالهم:

---

(١) المعتزلة: فرقة نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت في فهم العقيدة على العقل المجرد لتأثرها بالفلسفة اليونانية مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة وتقوم هذه الفرقة على خمسة أصول: التوحيد: ويقصدون به نفي الصفات والقول بخلق القرآن. العدل: ومعناه سلب قدرة الله في خلق أفعال العباد وأنَّ العبد يخلق فعله لخلطهم بين الإرادة الكونية والشرعية. الوعد والوعيد: ومعناه عندهم عدم الغفران لمرتكب الكبيرة. المنزلة بين المنزلتين: وتعني أنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه في منزلة بينهما. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويقصدون بذلك وجوب الخروج على الحاكم الجائر. وقد حاول بعض المفكرين في العصر الحاضر، إحياء فكر الاعتزال بعد أن عفى عليه الزمن فنادوا بالعقلانية والتنوير والتجديد وإعادة النظر في كثير من الأحكام الشرعية الثابتة بالنصوص وتحكيم العقل فيها: انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لابن زهرة: (١٢٤)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي علي الجبار: (٦٩٧).

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني: (١/ ١٣٩).

١ـ قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ «ومن لقيه مصرًا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له»(١).

٢ـ قال الإمام ابن عبدالبر: «فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه، فإن عذَّبه فبجرمه، وإن عاقبه فهو أهل العفو وأهل المغفرة»(٢).

أدلة أهل السنة والجماعة على عقيدتهم في صاحب الكبيرة

أولاً: القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾(٣).

ووجه الدلالة في الآية: «أنَّ الله خاطب القاتل وناداه بنداء الإيمان مع ارتكابه لكبيرة القتل، وأيضًا فقد سمَّى الله القاتل أخًا للمقتول والأُخوة المقصودة هنا أخوة الدين»(٤).

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾(٥) فقد سمَّاهم الله مؤمنين وجعلهم إخوة رغم الاقتتال وبغي بعضهم على بعض.

---

(١) انظر: رسالة عبدوس بن مالك في طبقات الحنابلة: (١/ ٢٤٣).
(٢) التمهيد لابن عبدالبر: (٤/ ٤٩).
(٣) سورة البقرة، الآية: (١٧٨).
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٢/ ٢٤٥).
(٥) سورة الحجرات، الآية: ٩.

ثانيًا من السنة المطهرة:

قوله ﷺ: «**تعالوا بايعوني على ألَّا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه. قال: فبايعناه على ذلك**»[١].

ثانيًا: أنَّ حدود الزنا والسرقة وشرب الخمر قد أقيمت في عهد رسول الله ﷺ ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولم يقطع الموالاة بينهم وبين المسلمين.

وهذا الموقف الموفق لأهل السنة والجماعة يتناسب مع مبدأ الوسطية الذي تميزوا به في كل شئون الدين وهم في هذه المسألة كانوا وسطًا بين الخوارج والمعتزلة من جهة، والمرجئة من جهة أخرى، فلم يصفوا الفاسق والعاصي بالإيمان المطلق كما تقول المرجئة، ولم يسلبوه منه بالكلية كما تزعم الخوارج والمعتزلة وإنما قالوا هو مؤمن ناقص الإيمان في الدنيا أما في الآخرة فقد جعلوه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ابتداءً وإن شاء عذَّبه بقدر ذنوبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة.

---

(١) رواه البخاري حديث: (١٨) ومسلم حديث: (١٧٠٩).

المبحث السادس
شعب الإيمان

للإيمان شعب كثيرة حددها الرسول ﷺ على سبيل الإجمال في الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لاإله إلّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(١). وهذا الحديث من دلائل النبوة ومعجزات الرسالة فقد تضمن الإشارة إلى أعلى شعب الإيمان وأساس الدين ومفتاح الجنة وهي كلمة التوحيد ثم أشار إلى أدنى شعب الإيمان وهي إماطة الأذى عن الطريق وذلك للدلالة على شمولية هذا الدين واهتمامه بجميع أمور الدنيا والآخرة.

أما تفاصيل هذه الشعب فقد استنبطها العلماء من الكتاب والسنة وذكرها بعضهم، منهم الإمام: أبوبكر البيهقي الذي حددها بسبع وسبعين شعبة شرحها في سبعة مجلدات شرحًا وافيًا.

كما نقل الإمام ابن حجر عن القاضي عياض، قوله: «تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان».

ثم قال ابن حجر: ولم يتفق من عدَّ الشعب على نمط واحد

---

(١) رواه البخاري: (٩)، ومسلم: (٣٥).

وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصتُ ـ والكلام لابن حجر ـ مما أورده ما أذكره وهو أن: هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن فأعمال القلب هي المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة هي:

١ـ الإيمان بالله عزَّوجل ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء.

٢ـ الإيمان بملائكته.

٣ـ الإيمان بالكتب المنزلة.

٤ـ الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

٥ـ الإيمان بالقدر خيره وشره.

٦ـ الإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه السؤال في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار.

٧ـ محبة الله عزَّوجل.

٨ـ الحب والبغض فيه سبحانه.

٩ـ محبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه وإتباع سنته صلوات الله وسلامه عليه.

١٠ـ الإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق.

١١ـ التوبة.

١٢ـ الخوف

١٣ـ الرجاء.

١٤ـ الشكر.

١٥ـ الوفاء.

١٦ـ الصبر

١٧ـ الرضا بالقضاء.

١٨ـ التوكل.

١٩ـ الرحمة.

٢٠ـ التواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير.

٢١ـ ترك الكبر والعجب.

٢٢ـ ترك الحسد.

٢٣ـ ترك الحقد.

٢٤ـ ترك الغضب.

أما أعمال اللسان فتشتمل على سبع خصال وهي:

١ـ التلفظ بالتوحيد: «لاإلـه إلاَّ الله».

٢ـ تلاوة القرآن الكريم.

٣ـ تعلم العلم.

٤ـ تعليم الناس الخير.

٥ـ الدعاء.

٦ـ الذكر ويدخل فيه الاستغفار.

٧ـ اجتناب اللغو.

أما أعمال البدن فتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة:

١ـ التطهر حسًا وحكمًا ويدخل فيه اجتناب النجاسات وستر العورة.

٢ـ الصلاة فرضًا ونفلاً.

٣ـ الزكاة فرضًا والإنفاق نفلاً.
٤ـ فك الرقاب.
٥ـ الجود ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف.
٦ـ الصيام فرضًا ونفلاً.
٧ـ الحج فرضًا ونفلاً.
٨ـ العمرة.
٩ـ الطواف.
١٠ـ الاعتكاف.
١١ـ التماس ليلة القدر.
١٢ـ الفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك.
١٣ـ الوفاء بالنذر.
١٤ـ التحري في الإيمان.
١٥ـ أداء الكفارات.

ومن الشعب المتعلقة بالبدن ما يختص بالاتْباع وهي ست خصال:

١٦ـ التعفف بالنكاح.
١٧ـ القيام بحقوق العيال.
١٨ـ بر الوالدين ويدخل فيه اجتناب العقوق.
١٩ـ تربية الأولاد.
٢٠ـ صلة الرحم.
٢١ـ طاعة السادة أي إذا كان الإنسان مملوكًا ويدخل فيه الرفق بالعبيد.

ومن الشعب المتعلقة بالبدن ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة:

٢٢ـ القيام بالإمرة مع العدل.
٢٣ـ متابعة الجماعة.
٢٤ـ طاعة أولي الأمر.
٢٥ـ الإصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة.
٢٦ـ المعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٢٧ـ إقامة الحدود.
٢٨ـ الجهاد في سبيل الله ويدخل فيه المرابطة.
٢٩ـ أداء الأمانة ويدخل فيه أداء الخمس.
٣٠ـ القرض مع الوفاء.
٣١ـ إكرام الجار.
٣٢ـ حسن المعاملة.
٣٣ـ جمع المال من حله وإنفاقه في حقه، ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف.
٣٤ـ رد السلام.
٣٥ـ تشميت العاطس.
٣٦ـ كف الأذى عن الناس.
٣٧ـ احتناب اللهو.
٣٨ـ إماطة الأذى عن الطريق.

وبهذا يصبح عدد الشعب المتعلقة بالقلب واللسان والبدن تسع وستون شعبة ويمكن عدها تسعًا وسبعون خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم(١).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر: (١/ ٦٨).

الباب الثالث

ما يناقض الإيمان

وتحته مباحث :

المبحث الأول: **الكفر.**

المبحث الثاني: **الحكم بغير ما أنزل الله.**

المبحث الثالث: **إطلاق حكم الكفر.**

المبحث الرابع: **أصول المكفرات.**

المبحث الخامس: **آثار الكفر وأضراره.**

المبحث السادس: **مما يناقض الإيمان ـ النفاق ـ.**

المبحث السابع: **صفات المنافقين.**

المبحث الثامن: **آثار النفاق.**



المبحث الأول
الكفــــر

يعرفه أهل اللغة بأنه ستر الشيء وهو ضد الإيمان: سُمِّي بذلك لأنه تغطيه للحق وكذا كفران النعمة جحودها وسترها.

أما في الاصطلاح: فهو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به محمد ﷺ مما علم من دينه بالضرورة.

وكما أنَّ الإيمان ذو شعب دل عليها حديث النبي ﷺ المتفق عليه: «**أعلاها شهادة أن لاإله إلَّا الله وأنَّ محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[١]

فكذلك الكفر له شعب أيضًا:

يقول الإمام ابن القيم: «الكفر ذو أصل وشعب فكما أنَّ شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر»[٢] وأيضًا فإنَّ الكفر يكون أحيانًا بالقلب كالجحود والتكذيب والبغض لما جاء عن الله عزَّوجل وعن رسوله ﷺ، ويكن أحيانًا باللسان كسبِّ الله ورسوله أو الاستهزاء بالله ورسوله، ويكون أحيانًا بترك بعض الأعمال التي ورد الشرع بأن تركها كفر مثل: الصلاة.

أقسام الكفر:

يرى علماء أهل السنة والجماعة بعد استقراء النصوص أنَّ

---

(١) رواه البخاري: (٩) ومسلم: (٣٥).

(٢) الصلاة لابن القيم: (٣٥).

الكفر ينقسم إلى قسمين:

الأول: كفر أكبر يناقض الإيمان ويوجب الخروج من الملة والخلود في النار وهو على خمسة أنواع:

١ـ كفر التكذيب وهو اعتقاد كذب الرسل وهذا قليل جدًا لأنَّ الله أيَّد رسله بالآيات وأعطاهم من المعجزات ما يقوم دليلاً على صدقهم وقيام الحجة على أممهم قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2] وإنما يلجأ بعض الكفار إلى التكذيب بالرسل من ألسنتهم فقط وليس من قلوبهم.

٢ـ كفر الإباء واستكبار والمسمى بالكفر الإبليسي فإنه إنما جحد أمر الله وأنكره عنادًا واستكبارًا وهذا النوع يقع من معظم الكفار حيث يقولون: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾[3] وكما يقول قوم فرعون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾[4].

٣ـ كفر الإعراض وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي له ولا إلى ماجاء به البتة.

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٤

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

(٣) سورة يس، الآية: ١٥

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٤٧

٤ـ كفر الشك بأن لايجزم بصدق النبي ﷺ ولا يكذبه وإنما يشك في ذلك.

٥ـ كفر النفاق وهو إظهار الإيمان باللسان وإخفاء الكفر والتكذيب في القلب وهو النفاق الأكبر الذي سوف نتحدث عنه فيما بعد ـ إن شاء الله ـ.

الثاني: كفر أصغر:

وهذا لاينافي أصل الإيمان ولا يذهب به بالكلية وإنما ينقص كماله ويصبح الموصوف به مذمومًا شرعًا وإن بقيت أحكام الإسلام تجري عليه لبقاء أصل الإيمان معه.

وهذا القسم يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار ويتناول جميع أنواع المعاصي لأنها من خصال الكفر، مثال ذلك: قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(١) فإنَّ الكفر هنا معناه الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ ﴾(٢) فقد سماهم الله مؤمنين مع اقتتالهم وهكذا مع بقية المعاصي التي لم يشرع لها حد الردة.

(١) رواه البخاري: ح(٦٠٤٤).
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

المبحث الثاني
الحكم بغير ماأنزل الله

يقرر الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقًا ـ عليه رحمة الله ـ بأنَّ من الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ماأنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا بل هو كافر مطلقًا إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد وما جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1] من رواية طاووس وغيره يدل على أنَّ الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة.

أما القسم الأول: وهو كفر الإعتقاد فهو أنواع:

النوع الأول: أن يجحد الحاكم بغير ماأنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روى عن ابن عباس واختاره بن جرير أنَّ ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا لا نزاع فيه بين أهل العلم.

النوع الثاني: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا لكن اعتقد أنَّ حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقًا أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال وهذا أيضًا لاريب أنه كفر لتفضيله أحكام

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.

النوع الثالث: أن لايعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عزَّوجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١].

النوع الرابع: أن لايعتقد كون الحكم بغير ماأنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

النوع الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله وتشكيلاً وتنويعًا وحكمًا وإلزامًا ومراجع ومستندات فكما أنَّ للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة.

النوع السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها: «سلومهم» يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع إبقاءً على أحكام الجاهلية وإعراضًا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

أما القسم الثاني من قسمي الحكم بغير ما أنزل الله: فهو مروي عن ابن عباس وذلك في قوله ـ رضي الله عنهما ـ في الآية: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، كفر دون كفروقوله أيضًا: «ليس بالكفر الذي تذهبون» وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغيرها ومجانبة الهدى وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة واليمين الغموس، وغيرها فإنَّ معصية سماها الله في كتابه كفرًا أعظم من معصية لم يسمها كفرًا نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه إنقيادًا ورضاءً إنه ولي ذلك والقادر عليه[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: (١٩-٢٢).

المبحث الثالث
إطلاق حكم الكفر

التكفير من المسائل الخطيرة التي ينبغي التحرز منها في حق المعين إذ ليس كل من عمل عملاً أو قال قولاً كفريًا يكون كافرًا إلاَّ إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين، وانتفت الموانع التي تمنع من استحقاقه لذلك الحكم، فقد يقول الإنسان الكفر أو يعمله باجتهاد أو خطأٍ ولا يكفر به، وذلك لما يترتب على ذلك من الأحكام الشرعية كإهدار دمه وزوال عصمة ماله وأولاده وتحريم زوجته عليه وعدم حل ذبيحته وعدم جواز تغسيله والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين وعدم جواز الاستغفار له بعد موته. ولورود الوعيد الشديد على من أطلق كلمة الكفر على مسلم ولم يكن كذلك ففي الحديث: «**من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما**»[1].

ولذا فإنَّ التكفير حكم شرعي لا يثبت إلاَّ بنص صريح أو قياس على نص صحيح بشرط توافر الشروط وانتفاء الموانع إذ لايتحقق الحكم بالتكفير إلاَّ بشرطين:

١ـ أن يقوم الدليل على أنَّ هذا الشيء مما يكفر فاعله كفرًا مخرجًا عن الملة.

٢ـ أن ينطبق الحكم على من فعل ذلك الفعل بعينه.

---

(١) رواه البخاري : (٦١٠٣).

ولا يتحقق أيضًا إلاَّ بانتفاء الموانع وهي:

١ـ أن يكون عالمًا بذلك فإن كان جاهلاً أو متأولاً لم يكفر بذلك.

٢ـ أن يكون مختارًا فإن كان مكرهًا لم يكفر

٢ـ أن يكون عامدًا فإن كان مخطئًا لم يكفر

والقاعدة في ذلك أنَّ من دخل في الإسلام بيقين فلا يخرج منه إلاَّ بيقين.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «إنَّ التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وإنَّ تكفير المطلق لايستلزم تكفير المعين إلاَّ إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع يبين هذا أنَّ الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»[(١)].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا فيقال من قال بهذا القول فهو كافر ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[(٢)]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (١٢/٤٨٧).

(٢) الدرر السنية: (٨/ ٢٤٤).

المبحث الرابع
أصول المكفرات

أولًا: الكفار نوعان:

النوع الأول: الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام أصلاً من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذيين والدهريين وغيرهم من أصناف الكفار فهؤلاء دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على كفرهم وخلودهم في النار وتحريم الجنة عليهم.

النوع الثاني: «الذين ينتسبون لدين الإسلام ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ ثم يصدر منهم ما يناقض ذلك ويزعمون بقاءهم على دين الإسلام وأنهم من أهله.

فهؤلاء لتكفيرهم أسباب متعددة ترجع كلها إلى تكذيب الله ورسوله وعدم التزام دينه ولوازم ذلك»[(١)].

ثانيًا: جميع المكفرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك.

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية السابق ـ عليه رحمة الله ـ

العقيدة الإسلامية لها قوادح، وهذه القوادح قسمان: قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها ويكون صاحبه كافرًا نعوذ بالله، وقسم يُنقص هذه العقيدة ويُضعفها:

---

(١) انظر: إرشاد أولي البصائر والألباب للسعدي: (١٩١).

القسم الأول: القوادح المكفرة:

نواقض الإسلام هي الموجبة للردة هذه تسمى نواقض والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً ويكون اعتقادًا ويكون شكًا، فقد يرتد الإنسان بقول يقوله، أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشك يطرأ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها وقد ذكرها أهل العلم في كتبهم وسمَّو بابها باب حكم المرتد فكل مذهب من المذاهب وكل فقيه من الفقهاء ألَّف كتبًا في الغالب عندما يذكر الحدود يذكر باب حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد الإسلام وهذا مرتد يعني إنه رجع عن دين الله وارتد عنه قال فيه النبي ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»[1] وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه قال: أنزل وألقى له وسادة وإذا رجل عنده موثق قال: ماهذا قال: هذا كان يهوديًا فأسلم ثم راجع دينه دين السوء فتهوَّد قال: لاأجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله فقال: اجلس نعم قال: لاأجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات فأمر به فقتل»[2].

فدلَّ ذلك على أنَّ المرتد عن الإسلام يقتل إذا لم يتب يستتاب فإن تاب ورجع فالحمدلله وإنْ لم يرجع وأصر على كفره وضلاله يقتل ويعجل به إلى النار لقوله ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**».

---

(١) رواه البخاري : (٣٠١٧)

(٢) رواه البخاري: ح(٦٩٢٣)، ومسلم ح: (١٧٣٣).

١ـ الردة بالقول:

النواقض التي تنقض الإسلام بالقول كثيرة منها: سب الله عزَّوجل وسب الرسول ﷺ أو بقول: إنَّ الله ظالم أو إنَّ الله بخيل أو إنَّ الله فقير أو إنَّ الله لا يعلم بعض الأمور أو لايقدر على بعض الأمور فهذه الأقوال كلها ردة عن الإسلام، أو قال مثلاً: إنَّ الله لم يوجب علينا الصلاة، فهو مرتد بإجماع المسلمين إلاَّ إذا كان جاهلاً فيعلم، فإن أصرَّ كفر، أو قال الزكاة غير واجبة وكذا الصيام، أو الحج مع الاستطاعة من قال هذه الأقوال كفر إجماعًا يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل وهذه الأمور تسمى ردة قولية.

٢ـ الردة بالفعل:

مثل ترك الصلاة على الأصح من أقوال العلماء لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[١] وقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**»[٢] وقال شقيق بن عبدالله العقيلي التابعي المتفق على جلالته ـ رحمه الله ـ كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[٣] وهذه ردة فعليه بترك الصلاة عمدًا.

ومن ذلك لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه أو لطخه بالنجاسة عمدًا أو وطأه بقدمه ليستهين به فإنه يرتد بذلك عن

(١) رواه الإمام أحمد: (٥/٣٤٦)، والترمذي: (٢٦٢١)، والنسائي: (٤٦٣)، وابن ماجه: (١٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٣/ ٣٢٩).
(٢) رواه مسلم: ح(٨٢).
(٣) رواه الترمذي: (٢٦٢٢).

الإسلام.

ومن الردة الفعلية: الطواف بالقبور للتقرب إلى أهلها بذلك أو الصلاة لهم أو للجن.

أما دعاؤه إياهم والاستعانة بهم فردة قولية:

أما من طاف بالقبور يقصد بذلك عبادة الله فهو بدعة قادحة في الدين لا يكون مرتدًا إذا لم يقصد التقرب إليه بذلك.

ومن الردة والكفر الفعلي الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو لأصحاب القبور أو للكواكب يتقرب إليها بذلك فهذا ما أُهِلَّ به لغير الله فيكون ميتة وفعله كفر أكبر.

٣ـ الردة بالاعتقاد: كمن يعتقد بقلبه أنَّ الله ظالم أو بخيل أو أنه لايوجد بعث ولا جنة ولا نار أو اعتقد عدم صدق النبي ﷺ أو أنه ليس بخاتم الأنبياء أو اعتقد كذب أحد الأنبياء أو اعتقد جواز دعوة غير الله أو جوَّز عبادة غير الله من ملك أو نبي أو شجر أو جن أو غير ذلك فهو كافر مرتد وإذا نطق ذلك بلسانه صار كافرًا بالقول والاعتقاد جميعًا، وإن فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافرًا بالقول والفعل والاعتقاد، ومما يدخل في هذا ما يفعله عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب المدد منهم فيقول بعضهم ياسيدي المدد المدد ياسيدي الغوث الغوث، أنا بجوارك اشف مريضي ورد غائبي وأصلح قلبي يخاطبون الأموات الذين يسمونهم الأولياء ويسألونهم هذا السؤال نسوا الله وأشركوا معه غيره تعالى الله عن ذلك فهذا كفر قولي وفعلي وعقدي.

وبعضهم ينادي من مكان بعيد وفي أمصار متباعدة: يارسول الله انصرني ونحو هذا وبعضهم يقول: عند قبره صلوات الله وسلامه عليه يارسول الله اشف مريضي يارسول الله المدد المدد انصرنا على أعدائنا أنت تعلم ما نحن فيه.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب إذ لايعلم الغيب إلاَّ الله سبحانه هذا من الشرك القولي والعملي وإذا اعتقد أنَّ هذا جائز صار شركًا قوليًا وفعليًا وعقديًا نسأل الله العافية.

٤ـ الردة بالشك:

وتكون كمن يقول: أنا لاأدري هل الله حق أم لا؟ أنا شاك أو يقول: أنا لاأعلم هل البعث حق أم لا: أو قال أنا لاأدري هل الجنة والنار حق أم لا أنا لاأدري أنا شاك فمثل هذا يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل كافرًا لشكه فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وبالنص والإجماع، ومثل ذلك لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبة أم لا وكذلك الزكاة والصيام والحج فهذه الشكوك كلها كفر أكبر إذ لا بدَّ من الإيمان بهذه الأمور أعني الصلاة والزكاة والصيام والحج وأنها حق واجبة على المسلمين بشروطها الشرعية.

أما الوسوسة العارضة والخطرات فإنها لا تضر إذا دفعها المؤمن ولم يسكن إليها ولم تستقر في قلبه لقوله ﷺ: «**إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها مالم يتكلموا أو يعملوا به**»[١]

وعليه أن يعمل الآتي:

(أ) يستعيذ بالله من الشيطان.

(١) رواه مسلم: (١٢٧).

(ب) ينتهي عما يدور في نفسه.
(ج) يقول آمنت بالله ورسله.

القسم الثاني: قوادح دون الكفر:

وهي تضعف الإيمان وتنقصه وتجعل صاحبها معرضًا للنار، وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافرًا مثال ذلك أكل الربا وارتكاب المحرمات كالزنا والبدع إذا آمن بأنَّ ذلك حرام ولم يستحله وكذا الاحتفال بالمولد، وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافًا للعقيدة، إلاَّ إذا كان هناك في المولد استغاثة بالنبي ﷺ فإنَّ هذه البدعة تكون من النوع الأول المخرج من الإسلام.(١)

---

(١) القوادح في العقيدة الإسلامية للشيخ عبد العزيز بن باز، وهي محاضرة ألقاها ـ رحمه الله ـ في الجامعة الكبير بالرياض، وقد نشرها الشيخ خالد بن عبدالرحمن الشائع.

المبحث الخامس
آثار الكفر وأضراره

الكفر سبب كل وبال وعلة كل هلاك وله آثاره الخطيرة التي تصيب الإنسان في الدنيا والآخرة فمن آثاره في الدنيا:

١ـ الضلال وعدم الهداية إلى طريق الحق، يقول عزّوجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾[(١)].

٢ـ الطبع على القلب وعدم الاستفادة من نور الوحي يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[(٢)] ويقول عزّوجل: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾[(٣)].

٣ـ وجوب قتله ردة وعدم جواز تغسيله أو الصلاة عليه أو دفنه في مقابر المسلمين.

٤ـ حرمة مخالطته أو بقاء زوجته المسلمة في عصمته وسقوط ولايته على أولاده وعدم مناصرته أو توليه.

أماآثار الكفر في الآخرة فمنها:

١ـ دخول النار والخلود فيها مع شدة العذاب وعدم التخفيف يقول

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦، ٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

عزَّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾(١).

٢ـ فساد جميع أعمال الكافر وإحباطها وعدم قبولها يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾(٢).

٣ـ عدم غفران الله للعبد إذا مات على الكفر يقول عزَّوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾(٣).

٤ـ لحوق الخزي والعار كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٤)

٥ـ الطرد والإبعاد من رحمة الله وحلول اللعنة والغضب يقول عزَّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾(٥).

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٨، ١٦٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤،٦٥.

المبحث السادس
مما يناقض الإيمان أيضًا النفاق

تعريف النفاق لغة: مأخوذ من النفق وهو طريق يتخذه الضب واليربوع تحت الأرض، يدخل فيه من ناحية ويخرج من أخرى.

وشرعًا: إظهار الإسلام وإخفاء الكفر بحيث يخالف قول المنافق فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه.

ويسمى المنافق زنديقًا في اصطلاح الفقهاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الزنديق في عرف الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره سواء أبطن دينًا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم»[(١)].

وينقسم النفاق إلى نوعين:

الأول: النفاق الأكبر: النفاق الاعتقادي: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان ثم يبطن ما يناقض ذلك وهو الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وفي أهله نزل القرآن بتكفيرهم والإخبار بأنهم في الدرك الأسفل من النار.

وصور النفاق الأكبر منها:

١ـ تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

٢ـ بغضه صلوات الله وسلامه عليه، أو بغض ما جاء به.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٧/ ٤٧١).

٣ـ إظهار الفرح والسرور بهزيمة وإنخفاض دين الإسلام.
٤ـ إعلان الحزن والكراهية حين ينتصر دين الإسلام.
٥ـ عدم اعتقاد وجوب تصديق النبي ﷺ ووجوب طاعته.

الثاني: النفاق الأصغر: النفاق العملي: وهو فعل بعض الأعمال التي تخالف مقتضى الإيمان وقد تضمنها كل من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذَّب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر**»[1]

وحديث أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[2]

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٤)، ومسلم ح: (٥٨).
(٢) روه البخاري ح: (٣٣)، ومسلم ح: (٥٩).

المبحث السابع
صفات المنافقين

لقد هتك الله أستار المنافقين في كتابه الكريم، وكشف عوارهم وفضح أمرهم وخصهم بالذكر في سورة كاملة، مثل: سورة التوبة التي من ضمن أسمائها الفاضحة والكاشفة وسورة المنافقون حتى كاد القرآن كله ـ كما يقول ابن القيم ـ يكون في شأنهم وذلك للتحذير منهم وللتنبيه على خطرهم.

وقد وصفهم الله بصفات عديدة تضمنتها الآيات الكريمة منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾[(١)]، وقد تضمنت هذه الآيات وما بعدها بعض الصفات القبيحة للمنافقين وهي: الكذب والمخادعة وادعاء الإصلاح مع أنهم في الحقيقة حملة معول الإفساد ووصفهم أهل الإيمان بالسفه بينما هم السفهاء الحقيقيون بالإضافة إلى تلونهم بدعوى الإيمان عند أهل الإيمان ثم إنكارهم له عند عودتهم إلى شياطينهم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

(١) سورة البقرة، الآية: ٨، ١٠

وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[1]، وقد اشتملت هذه الآيات على أقبح الصفات للمنافقين وهي: زخرفة الألفاظ وتحسين العبارات وإشهاد الله على صدقهم للإمعان في إضلال الآخرين ومخادعتهم، ثم عودتهم إلى طبيعتهم من السعي بالفساد وإهلاك الحرث والنسل بمجرد غياب أعين الناس عنهم.

التكبر والتغطرس وعدم الارعواء أو الانزجار عند تخويفهم من عذاب الله وأمرهم بتقواه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾[2] وهذه الآية دلَّت على خلق المخادعة الذي يتصف به المنافقون كأبرز معالمهم وعلى كسلهم وضعفهم عند القيام إلى أداء العبادات خصوصًا الصلاة، وعلى عدم إخلاصهم في أدائها إذا قاموا بذلك نادرًا، بل يراءون بأدائها ولا يقصدون بعملهم وجه الله، لأنَّ قلوبهم مريضة، وأيضًا فإنهم لا يذكرون الله إلاَّ قليلاً لخراب قلوبهم، ولعدم تميزهم، فهم مذبذبون مترددون، لا تتضح لهم حالة ولا يهتدون سبيلاً

٤ـ قوله ﷺ: «**أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء والفجر**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤، ٢٠٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢، ١٤٣.

ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا»[١]، وهذا الحديث يكشف بوضوح حالة المنافقين الذين يتخلفون عن أداء صلاة العشاء والفجر وهو يمثل المقياس الذي يقيس به الإنسان إيمانه خصوصًا صلاة الفجر التي يقع زمن أدائها في وقت يتعارض مع راحة الإنسان ونومه ، ولكن المؤمن يتغلب على تلك المعوقات وينهض لأداء الصلاة في بيت الله، أما المنافق فإنَّ هزال دينه وضعف يقينه يمنعانه من القيام في هذا الوقت الحرج ولذا نرى أعداد المصلين قليلة في صلاة الفجر في جميع مساجد المسلمين.

وبالجملة فإنَّ المتأمل لآيات القرآن الكريم والسنة المطهرة يمكنه استخلاص صفات وعلامات المنافقين والتي من أبرزها أنهم:

١ـ يدَّعون الإيمان وهم كاذبون.

٢ـ يدَّعون الإصلاح وهم المفسدون.

٣ـ يرمون المؤمنين بالسفه وهم السفهاء الحقيقيون.

٤ـ أقوالهم مزخرفة وعباراتهم منمقة وهم ألدّ الخصماء.

٥ـ إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.

٦ـ يراءون الناس بأعمالهم.

٧ـ لايذكرون الله إلاَّ قليلاً.

٨ـ لاينفقون إلاَّ وهم كارهون.

٩ـ يقبضون أيديهم عن الإنفاق في وجوه الخير.

١٠ـ يتثاقلون عن صلاتي العشاء والفجر.

١١ـ يخلفون المواعيد.

---

(١) رواه البخاري ح: (٦٥٨)، ومسلم ح: (٦٥١).

١٢ـ يكذبون في الحديث.
١٣ يغدرون في العهود وينقضون المواثيق.
١٤ـ يفجرون في الخصومات.
١٥ـ يخونون الأمانات.
١٦ـ أخبث الناس قلوبًا وأحسنهم أجسامًا.
١٧ـ يكثرون من الحلف ليقينهم بأنَّ القلوب لا تطمئن إليهم.
١٨ـ يأخذون من الدين ما يوافق رغباتهم.
١٩ـ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.
٢٠ـ يوالون أعداء الله من الكفرة[١]

---

(١) انظر: نور الإيمان وظلمات النفاق للدكتور: سعيد بن علي بن وهف: (٨٠ ـ ٨٤).

المبحث الثامن
آثار النفاق

كما أنَّ للكفر أضراره الكبيرة، وآثاره الخطيرة فإنَّ النفاق أيضًا لايقل خطورة أو ضررًا منه فعواقبه وخيمه ونتائجه أليمة تُعرِّض الإنسان للهلاك والخسران في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

١ـ الخلود في النار وبئس القرار بل في الدرك الأسفل فيها مع الكفار يقول عزَّوجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[2].

٢ـ وجوب اللعنة عليهم ومطاردتهم بها، أينما ثقفوا وحيثما وجدوا يقول عزَّوجل: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾[3].

٣ـ عدم قبول الأعمال الصالحة ورفضها وإبطالها يقول عزَّوجل: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠، ٦١.

يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[١]

٤ـ حرمان المنافق من دعاء المؤمنين وصلاتهم عليه عند موته يقول سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[٢] وآثار النفاق لا حصر لها ولا عد بل هو سبب كل دمار وعنوان كل خسار نسأل الله العافية[٣].

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٣، ٥٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٣) انظر: نور الإيمان وظلمات النفاق للدكتور/ سعد بن علي بن وهف: (٨٥، ٩٠).

الباب الرابع
التوحيد

وفيه مباحث :

المبحث الأول: **مفهوم التوحيد**

المبحث الثاني: **توحيد الربوبية.**

المبحث الثالث: **توحيد الألوهية.**

المبحث الرابع: **توحيد الأسماء والصفات.**

المبحث الخامس: **رؤية الله عز وجل.**

المبحث السادس: **ثمرات التوحيد.**

المبحث الأول
مفهوم التوحيد

التوحيد: « **هو إفراد الله بالعبادة**: والخلوص من الشرك والبراءة من أهله ويعرفه بعضهم: بأنه العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم بتفرد الله عزّوجل بالأسماء الحسنى وتوحده بصفات الكمال والعظمة والجلال وإفراده وحده بالعبادة»[١]

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات التوحيد بأدلة كثيرة منها:

أولاً: القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾[٢] قال القرطبي معنى يعبدون أي يوحدون[٣]

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾[٤].

قال الشيخ السعدي: «يخبر الله عزّوجل أنَّ حجته قامت على جميع الأمم وأنه مامن أمة متقدمة أو متأخرة إلاَّ وبعث الله فيها

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي: (١٨).
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦، ٥٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٧/ ٥٧).
(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

رسولاً وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد وهو عبادة الله وحده لاشريك له»[١]

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٢] وهذه الآية توضح أنَّ كل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إنما دعوا إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١ـ أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ **«أنَّ رسول الله ﷺ قال له: يامعاذ أتدري ماحق الله على عباده؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ثم سار ساعة، ثم قال: يامعاذ وهل تدري ماحق العباد على الله إذا فعلوه قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق العباد على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئًا»**[٣] وهذا الحديث يتضمن وجوب عبادة الله وحده لا شريك له المقتضية لتوحيده سبحانه.

٢ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى أهل اليمن قال له: **«إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم**

---

(١) انظر: تسير الكريم لابن سعدي: (٣٩٣).

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٣) رواه البخاري ح: (٥٦٧)، ومسلم ح: (٣٠).

فإذا صلوا فأخبرهم أنَّ الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وَتَوَقَّ كرائم أموال الناس»[١].

ودلالة الحديث في أهمية التوحيد ووجوب البدء به في الدعوة إلى الله واضحة ولله الحمد والمنة.

٣ـ عن عتبان بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم على النار من قال: لاإلٰه إلَّا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٢].

---

(١) رواه البخاري ح: (٧٣٧٢)، ومسلم ح: (١٩).

(٢) رواه البخاري ح: (٤٢٥)، ومسلم ح: (٣٣).

المبحث الثاني
توحيد الربوبية

هو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله ـ عزَّوجل ـ رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء والمتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له وأنه المنفرد سبحانه بالخلق والتدبير وتصريف الأمور لجميع المخلوقات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فتوحيد الربوبية أنه لاخالق إلاَّ الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن»[(١)].

ويقول ابن القيم: «فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لايخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره[(٢)].

وهذا النوع من التوحيد هو الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى لأنَّ الخالق المالك الرازق المدبر هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة كما هو الجدير وحده بأن يوصف بصفات الجلال والكمال وأن ينزه عن كل عيب ونقص.

ورغم أهميته فإنَّ المشكلة في حياة البشر في القديم والحديث لم تكن في عدم الإيمان بوجود الله سبحانه، لأنَّ ذلك مما استقر في فطر الناس، ولذا لم يرسل الله عزَّوجل رسولاً ولا نبيًّا يدعو الناس إلى الإيمان بوجوده سبحانه، وإنما المشكلة كانت ولا تزال في قيام

---

(١) فتاوى ابن تيمية: (١٠/ ٣٣١).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم: (١/ ٣٤).

الناس بعبادة غير الله، وإشراكهم مع الله عزَّوجل، فمنذ نزول آدم ـ عليه السلام ـ وتسلسل ذريته وهم يعبدون الله، وعندما تنحرف البشرية عن العبادة الصحيحة، وتقع في الشرك، يرسل الله الرسول لتصحيح الوضع، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده.

والمشركون الذين خوطبوا بالقرآن كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولم يكن لديهم اعتقاد في أنَّ الأصنام التي كانوا يعبدونها أنها مشاركة لله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة، فقد ذكر الله اعترافهم بذلك في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

الأدلة على توحيد الربوبية عند أهل السنة والجماعة :

وجود الخالق سبحانه وتفرده بالربوبية وكونه الخالق المدبر لهذا الكون لا يحتاج إلى دليل إذ أنَّ المستدل نفسه دليل على وجود خالقه فإن المستدل مخلوق ولا وجود لمخلوق بدون خالق يقول عزَّوجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

فالإنسان لم يخلق من غير شيء لأنَّ غير الشيء عدم والعدم لا يمكن أن يخلق شيئًا وأيضًا فإنَّ الإنسان لم يخلق نفسه إذًا فإنَّ من المتعين أن يكون له خالق وهو الله عزَّوجل: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦، ٨٧.

(٢) سورة الطور، الآية: ٣٥،٣٦.

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[١].

والأدلة والبراهين على توحيدالربوبية كثيرة لايمكن حصرها إذ أنَّ كل ما في الوجود دليل على الله عزَّوجل ولكنني سأذكر بعض الدلائل التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة والتي وردت بها النصوص من الكتاب والسنة وهي:

١ـ دليل الفطرة:

الإيمان بوجود الله سبحانه أمر فطري لا يحتاج إلى دليل أو برهان فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجوده تبارك وتعالى، والإيمان به عزَّوجل مغروز في شعور كل إنسان عاقل، وهذا الشعور الفطري دليل من الأدلة الصادقة على وجود الخالق سبحانه، والذي لا ينكره سوى شراذم من شواذ البشر، من الدهريين والملاحدة، ثم لايملكون إلاَّ اللجوء إليه عند الضرورات والشدائد، وعلماء أهل السنة والجماعة يؤكدون على أنَّ الله قد فطر الناس على الدين الحق، وأنَّ هذه الفطرة لو سلمت من المعارض لبقيت على حالها من السلامة والاستقامة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإقرار بالله والاعتراف بالصانع ثابت في الفطرة كماقرره سبحانه في كتابه في مواضع فلا يحتاج إلى دليل، بل هو أرسخ المعارف وأصل الأصول»[٢].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: «فالنفوس مفطورة على علم ضروري موجود فيها بالخالق الذي خلق السموات وأنه خالق

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢/ ٧٢).

السماوات والأرض ليس شيء منها خلق الناس كما قال موسى لفرعون لما قال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١] قال: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[٢] وقال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[٣]»[٤].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على ماذهبوا إليه من أنَّ الله قد فطر النفوس البشرية على الإيمان به والإقرار بربوبيته وحده لاشريك له بأدلة كثيرة منها:

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٥] فقد نقل الإمام ابن عبدالبر إجماع أهل التفسير على أنَّ المقصود بالفطرة الإسلام حيث يقول: «أجمع أهل العلم بالتأويل على أنَّ المراد بقوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾ الإسلام وهو المعروف عند عامة السلف[٦].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله

---

(١) سورة الشعراء ، الآية: ٢٣.
(٢) سورة لشعراء، الآية: ٢٤.
(٣) سورة طه، الآية: ٤٩، ٥٠.
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٨/ ٢٣٨).
(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٦) التمهيد لابن عبدالبر: (١٨/ ٧٢).

ﷺ: **«ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**[(١)].

وبالحديث القدسي الذي أخرجه مسلم فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه عزَّوجل قال: **«إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»**[(٢)].

٢ـ من أدلة توحيد الربوبية: دليل الخلق:

هذا الكون الفسيح وهذه العوالم الهائلة والأجرام الضخمة وتلك السموات والأرض وما احتوته من المخلوقات البديعة والكائنات العجيبة وهذا الإنسان وما فيه من الآيات كل هذا وغيره يشهد أنَّ لهذا الكون خالقًا أبدعه ومدبرًا أحكم أمره وسيره والمتأمل في كتاب الله الكريم يجده مملوءًا بالآيات التي تدعو إلى النظر والتفكر في تلك الدلائل القطعية المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس والتي تشهد بعظمة الخالق سبحانه وكمال قدرته وسعة علمه من مثل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٤)] وقد جمع الله معظم تلك الآيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) رواه البخاري ح: (١٣٨٥)، ومسلم ح: (٢٦٥٨).

(٢) رواه مسلم ح: (٢٨٦٥).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٢٠، ٢١.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1]

والاستدلال بالآيات الكونية سواء ما كان منها متعلقًا بالمخلوقات عامة أو ما كان متعلقًا بالإنسان خاصة منهج قويم من مناهج أهل السنة والجماعة حيث تتجلى ـ رحمة الله ـ بخلقه حين دلَّهم على نفسه بما نصب لهم من الأدلة الكونية المبثوثة في الكون وفي أنفسهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والإستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة وهي شرعية دلَّ القرآ ن عليها وهدى الناس إليها وبيَّنها وأرشدها وهي عقلية فإنَّ كون نفس الإنسان حادثًا بعد أن لم يكن ومولودًا ومخلوقًا من نطفة ثم من علقة هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ﷺ بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواءً أخبر أو لم يخبر به الرسول ﷺ لكن الرسول ﷺ أُمر أن يستدل به ودلَّ به وبيَّنه واحتج به فهو دليل شرعي لأنَّ الشارع استدلَّ به وهو عقلي لأنه بالعقل عرف»[2]

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٢) النبوات لابن تيمية: (٩٢).

والريب»[١].

٣ـ من أدلة توحيد الربوبية:

دليل المعجزة وهي: «أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد بها إظهار صدق من ادَّعى أنه رسول من الله»[٢] وهي مقرونة بالتحدي سالمة من المعارضة وتكون إما حسية تشاهد بالبصر والسمع كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية وكلام الجمادات ونحو ذلك وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن الكريم[٣].

ودلالة المعجزة على وجود الله عزَّوجل وربوبيته سبحانه واضحة لأنَّها دلَّت على صدق الرسل، وأنَّ كل ما أخبروا به صدق ومن أعظم ما أخبروا به وجوب الإيمان بوجود الله سبحانه وتوحيده وعبادته وحده لاشريك له، وأيضًا فإنَّ الرسل لم يدَّعوا أنَّ المعجزة من عندهم وإنما أخبروا أنها من عندالله وهذا يوجب الإيمان به عزَّوجل.

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على وجود الله سبحانه وربوبيته بالمعجزات التي أيَّد الله بها رسله لبيان صدقهم فيما أخبروا به وفيما دعوا إليه من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه.

فهذا ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ يقول: «إن من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبدالرحمن، وسائر

(١) التبيان في أحكام القرآن لابن القيم: (٣٠٣).

(٢) التعريفات للجرجاني: (٢٨٢).

(٣) أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي: (٩٢).

المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجًا، علم أنَّ الله عزَّوجل لم يعرفه واحد منهم إلاَّ بتصديق النبيين بإعلام النبوة ودلائل الرسالة»[١].

وقد نسب ابن تيمية هذه الطريقة أعني الاستدلال بالمعجزات على ربوبية الله سبحانه إلى أئمة السلف حيث يقول: «وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم»[٢].

ويقول ـ رحمه الله ـ في مكان آخر: «المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها، وأنه أحدثها لتصديق الرسول وإن لم يكن قبل قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع»[٣].

أما ابن القيم ـ رحمه الله ـ فيرى أنَّ طريق إثبات وجودالله بالمعجزات من أفضل الطرق وأعظمها دلالة على ربوبية الله سبحانه وتعالى فيقول: «وهذا الطريق من أقوى الطرق وأصحَّها وأدلَّها على الصانع وصفاته وأفعاله، وإرتباط أدلة هذا الطريق بمدلولاتها أقوى من الأدلة العقلية الصريحة ولهذا يسميها الله آيات بينات وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإنَّ انقلاب عصا تقلِّبها اليد ثعبانًا عظيمًا يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر: (٧/ ١٥٢).
(٢) درء تعارض العقل لابن تيمية: (٨/ ٣٥٢).
(٣) المصدر السابق: (٩/ ٤١).

وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا، وكذلك اليد، وفلق البحر طرقًا والماء قائم بينهما كالحيطان، ونتق الجبل من موضعه، ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينًا، تكفي أمة عظيمة وكذلك سائر آيات الأنبياء مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله، وصدق رسله واليوم الآخر وهذه من طرق القرآن التي أرشد الله إليها عباده ودلَّهم بها كما دلَّهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث التي في الجو والأرض»[1].

وبهذا يظهر جليًا أنَّ ما سلكه أئمة الدين من علماء أهل السنة والجماعة من تأكيد الاستدلال بالمعجزات على توحيد الربوبية طريق شرعي دلَّ عليه الكتاب والسنة المطهرة.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم: (٣/١١٩٧).

المبحث الثالث
توحيد الألوهية

وهو توحيد العبادة أو توحيد القصد والطلب وحقيقته إفراد الله سبحانه بأفعال العباد التي تعبَّدهم بها من صلاة وزكاة وصيام وحج وذبح ونذر ودعاء وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبة، وغير ذلك من أنواع العبادة التي ينبغي صرفها وتوجيهها لله وحده فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك.

والإله هو الذي تألهه القلوب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام فتتوجه إليه بالعبادة دون غيره.

أما العبادة فيعرفها العلماء بأنها: «اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[1].

وقد اشتد تركيز علماء أهل السنة والجماعة واهتمامهم بتوحيد العبادة وضرورة أخلاصها لله وحده تحقيقًا للغرض الذي من أجله خلق الله الناس ولئلا يضلوا عن طريق العبادة الحقة بصرفها أو أي شيء فيها إلى غير الله فيقعوا في الشرك الذي لايغفره الله كما قال عزَّوجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2] وهذالنوع من التوحيد هو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت عليهم الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين موحدين فلهم الفوز والنصر والتمكين في الدنيا ولهم الجنة

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

والنعيم المقيم في الآخرة وإلى مشركين كفرة لهم الخزي والهوان والذلة والخسران في الدنيا ولهم النار والجحيم والعذاب الأليم في الآخرة.

والأدلة على وجوب هذا النوع من التوحيد كثيرة جدًا:

أـ من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢]

٣ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣]

ب ـ من السنة المطهرة:

١ـ قوله ﷺ: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم**»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) رواه البخاري ح: (٧٣٧٢)، ومسلم ح: (١٩).

٢ـ قوله ﷺ: **«أتدري ماحق الله على العباد ؟ قلت: لا؟ قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ثم سار ساعة فقال»**: يامعاذ قلت: لبيك وسعديك قال: **«هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لايعذبهم»**[(١)].

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية لأنَّ من عبدالله وحده ولم يشرك به شيئًا لا بدَّ أن يكون قد اعتقد في قرارة نفسه أنه إنما يعبد إلٰهه الذي خلقه وأوجده من العدم ورباه بالنعم وأنه هو الذي يملك ضرَّه ونفعه وحياته وموته ولهذا استنكر الله على المشركين عبادتهم للأصنام التي لاتملك لهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا فقال عزَّوجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٧٣﴾[(٢)] ويقول عزَّشأنه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾[(٣)] كما أنه متضمن لتوحيد الأسماء والصفات الذي سوف نتحدث عنه بعد قليل لأنَّ من أخلص لله في عبادته لا بدَّ أن يثبت لله جميع الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكيف أو تمثيل كقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[(٤)].

---

(١) رواه البخاري ح: (٦٢٦٧)، ومسلم ح: (٣٠).
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٦.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

المبحث الرابع
توحيد الأسماء والصفات

لم يكن هذا النوع من التوحيد منفصلاً عند القدماء عن توحيد الربوبية إذ كانوا ـ رحمهم الله ـ يرون أنَّ التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الألوهية والعبادة(١).

إلاَّ أنه وبعد ظهور المذاهب الكلامية وكثرة التأويل والتعطيل وأيضًا التشبيه والتمثيل اضطر علماء أهل السنة والجماعة إلى إفراد الأسماء والصفات وجعلها نوعًا مستقلاً من أنواع التوحيد وقد أقاموا هذا النوع على مرتكزات أساسية ثلاثة وهي:

الأساس الأول: الإثبات لجميع الأسماء والصفات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على مايليق به سبحانه مع اعتقادهم أنها دالة على معان ثابتة كاملة في نفس الأمر.

ويعتمد الإثبات عند السلف على قاعدتين هامتين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهما:

القاعدة الأولى: أنَّ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فإنَّ من أثبت بعض الصفات، كالحياة والقدرة، والإرادة، والكلام، ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينكر المحبة والرضا والغضب، ويجعل ذلك مجازًا يقال له: «ما الفرق بين ما أثبته وما

---

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (١٥).

نفيته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر فإن قال إنَّ إرادته مثل إرادة المخلوقين قيل: فكذلك رضاؤه وغضبه وهذا هو التمثيل، وإن قال: إنَّ له إرادة تليق به كما أنَّ للمخلوقين إرادة تليق بهم قيل له: فكذلك له محبة تليق به وللمخلوقين محبة تناسب حالهم وكذلك سائر الصفات كالرضا والغضب. فإن قال: هذه إرادة المخلوق قيل له: وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم القول في بقية الصفات فيجب أن يؤخذ الكل أو يقال: في الكل ما يقال في البعض، وبهذه القاعدة نردُّ على طوائف منحرفة في هذا الباب من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأمثالهم.

القاعدة الثانية: القول في الصفات كالقول في الذات فالله سبحانه وتعالى له ذات لاتشبه ذوات المخلوقين وكذلك صفاته وأفعاله لا تشبه صفات المخلوقين وأفعالهم، إذ يلزم من أقرَّ بأنَّ لله حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء أن يقول: إنَّ سمعه وبصره وكلامه الثابت في نفس الأمر لايشابهه سمع المخلوقين ولا بصرهم ولا كلامهم فإذا قال قائل: أنا أنفي استواء الله خشية من تشبيه الله بخلقه فيقال له: انف وجودالله وذاته لأنه يلزم من ذلك تشبيه الله بخلقه فإن قال: لله وجود يخصه وذات تخصه لا تشبه ذوات المخلوقين قلنا: وكذلك نزوله واستوائه وبهاتين القاعدتين نرد على من قال: إنَّ مذهب السلف هو التفويض وليس الإثبات»[١].

---

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية: (٣/ ١٧، ٢٧).

الأساس الثاني: التنزيه:

يعتقد أهل السنة والجماعة أنَّ الله عزَّوجل لا يشبهه شيء، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، وأنَّ إثبات ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يقتضي تشبيهًا أو تمثيلاً.

يقول الإمام أبوعثمان الصابوني ـ رحمه الله ـ[(١)]:

«إنَّ أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عزَّوجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله ﷺ على ماوردت الأخبار والصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جلَّ جلاله منها: ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولايعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نصَّ سبحانه عليه في قوله عزَّمن قائل: ﴿قَالَ يَٰإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾[(٢)] ولايحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله ولا يكيفونها بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه ومنَّ عليهم بالتعريف

---

(١) الإمام العلامة القدوة شيخ الإسلام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ولد سنة: ٣٧٣ هجرية، وصفه البيهقي بأنه إمام المسلمين حقًا وشيخ الإسلام صدقًا وقال عنه الذهبي كان من أئمة الأثر له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآه منصف إلاَّ واعترف له: سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٤٠).

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله عزّوجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١] إلى أن قال ـ رحمه الله ـ «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها[٢].

الأساس الثالث: قطع النظر عن إدراك الكيفية:

لما كانت الإحاطة بذات الباريء سبحانه مستحيلة كما أخبر بذلك عزّوجل، فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[٣] كانت معرفة صفاته عزّوجل مستحيلة أيضًا ولا سبيل إلى إدراكها لأنَّ معرفة كيفية الصفة تتوقف على معرفة كيفية الذات وما دمنا لا نقدر على معرفة كيفية الذات الإلٰهية فكذلك سنكون عاجزين عن إدراك كيفية صفاته ولذا فإنَّ بعض أئمة السلف حينما سئلوا عن كيفية الإستواء قالوا: «الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[٤].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني: (٣).

(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٤) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد وأهل السنة والجماعة: (٦٦٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد نسبته إلى الإمام مالك: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك» مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٥/ ٣٦٥).

أسماء الله الحسنى

معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها يؤدي إلى كمال العلم بذاته سبحانه وبالتالي كمال الخضوع والعبودية له جلَّ شأنه ولذا كان العلم بها من أشرف العلوم لتعلقها بذات الباري عزَّوجل فبها يسأل وبها يثني عليه وبها يمدح سبحانه وتعالى.

وقد ورد في الحديث المتفق على صحته الذي يرويه الصحابي الجليل أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله تسعة وتسعين إسمًا مئة إلَّا واحدة من أحصاها دخل الجنة**»[١] غير أنَّ جمهور علماء أهل السنة والجماعة لايرون أنَّ أسماء الله محصورة في هذا العدد.

يقول الإمام الخطابي[٢]: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء لأنها أشهرالأسماء وأبينها معان وأظهرها وجملة قوله: «إنلله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة في خبر إنَّ في قوله: من أحصاها دخل الجنة»

(١) رواه البخاري ح: (٢٧٣٦)، ومسلم ح: (٢٦٧٧).

(٢) الإمام العلامة الحافظ أبو سليمان حمد بن محمد البستي الخطابي صاحب التصانيف ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة وتفقه على مذهب الشافعي وله كتاب شرح الأسماء الحسنى وكتاب الغنية عن الكلام وأهله/ سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٣٢).

لافي قوله تسعة وتسعين إسمًا وإنما هي بمنزلة قولك إنَّ لزيد ألف درهم أعدَّها للصدقة وكقولك إنَّ لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب وإنما دلالته أنَّ الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم وأنَّ الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب»(١).

ويؤكد هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول:

«جمهور العلماء وسلف الأمة وأئمتها على أنَّ أسماء الله عزَّوجل غير محصورة في تسعة وتسعين اسمًا ثم قال: وهو الصواب لثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أنَّ التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح.

الوجه الثاني: أنَّه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله وتر يحب الوتر**»(٢) وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين وثبت في الصحيح أنه قال: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال**»(٣) وليس هو منها وفي الصحيح أيضًا أنه قال: «**إنَّ الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا**»(٤) وليس هذا فيها.

الوجه الثالث: ما احتجَّ به الخطابي وغيره وهو حديث بن

---

(١) شأن الدعاء للخطابي: (٢٣).

(٢) رواه البخاري ح: (٢٧٣٦)، ومسلم ح: (٢٦٧٧).

(٣) رواه مسلم: (٩١).

(٤) رواه مسلم ح: (١٠/٤).

مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**ماأصاب عبدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك ، سمَّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي وشفاء صدري وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي إلَّا أذهب الله همَّه وغمَّه وأبدله مكانه فرحًا**» قالوا: يارسول الله أفلا نتعلمهن قال: «**بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»[1].

قال الخطابي وغيره: «فهذا يدل على أنَّ له أسماء استأثر بها وذلك يدل على أنَّ لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم»[2] ثم يواصل ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيقول: «والله في القرآن قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[3] فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقًا ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلاَّ تسعة وتسعين اسمًا والحديث قد سلم معناه والله أعلم»[4].

غير أنَّ هناك من العلماء من ذهب إلى القول بحصرها في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٣٩١)، وصححه ابن حبان: (٢٣٧٢)، والحاكم في المستدرك: (١/٥٠٩)، وقال أحمد شاكر في شرح المسند اسناده صحيح: (٥/ ٣٧١١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١/ ٣٣٦)، الحديث: (١٩٩).

(٢) شأن الدعاء للخطابي: (٢٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) فتاوى ابن تيمية: (٢٢/ ٤٨٢) بتصرف يسير.

العدد المنصوص عليه في حديث أبي هريرة وخالف ما اتفق عليه جمهور العلماء ومنهم: ابن حزم ـ رحمه الله ـ الذي تمسك بظاهر النص كعادته وشدَّد في ذلك زاعمًا أنَّ من أجاز أن يكون لله اسم زائد عليها فهو كافر حيث يقول:

«وإنَّ لله ـ عزَّوجل ـ تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحد وهي أسماؤه الحسنى من زاد شيئًا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة، وقد صحَّ أنها تسعة وتسعون اسمًا فقط ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد لأنه ـ عليه السلام ـ قال: «مائة غير واحد» فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم ولو كان هذا لكان قوله ـ عليه السلام ـ مائة غير واحد كذبًا ومن أجاز هذا فهو كافر»[1].

وفي كلام العلماء السابق ذكره ما يرد على ابن حزم ويدفع مقولته التي لاتخلو من الجرأة والمبالغة ـ رحمه الله ـ وغفر لنا وله.

---

(١) المحلى لابن حزم: (١/ ٣٠).

هل يوصف الله عزّوجل بغير ما وصف به نفسه

الدلالة على الذات الإلٰهية على ثلاثة أنواع: وهي:

١ـ الأسماء.

٢ـ الصفات.

٣ـ الإخبار.

فأما أسماؤه الحسنى وصفاته العلى سبحانه فهي توقيفية لا مجال للرأي والاجتهاد فيها فلا يجوز اطلاق أي اسم أو صفة عليه سبحانه إلاَّ إذا ثبت ورودها بالدليل الشرعي من كتاب الله عزَّوجل أو سنة رسوله ﷺ.

يقول قوام السنة الإمام الأصبهاني[1] وهو يبين ضلال من سمى أو وصف الله عزَّوجل بغير ما سمى ووصف به نفسه أو سماه ووصفه به رسوله ﷺ.

«فلا يسمى أي الله تعالى إلاَّ بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة أو أجمعت الأمة على تسميته به ولا يوصف إلاَّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ

---

(١) الحافظ الكبير شيخ الإسلام إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الملقب بقوام السنة قال عنه أبو موسى المديني: إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه وقال عنه يحيى بن منده كان حسن الاعتقاد وجميل الطريقة قليل الكلام ليس في وقته مثله ولد سنة: (٤٥٧هـ) وتوفي سنة: (٥٣٥هـ) تذكر الحفاظ للذهبي: (٤/ ١٢٧٧).

أو أجمع عليه المسلمون فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال»[١].

أما الإخبار عنه سبحانه فإنه يصح أن يخبر عنه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته لأنَّ ما يدخل في باب الأخبار أوسع مما يدخل في باب الأسماء والصفات، فيجوز الإخبار عنه سبحانه بأنه شيء، وموجود، مع أنَّ هذه الألفاظ لا تدخل في الأسماء والصفات، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعي إلاَّ بالأسماء الحسنى وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيء لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيء وإن لم يكن بحسن مثل اسم شيء وذات وموجود»[٢].

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (٢/ ٣٨٣).

(٢) فتاوى ابن تيمية: (٦/ ١٤٢).

أقسام الصفات

تنقسم صفات الباريء سبحانه إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الذاتية

وهي الصفات المتعلقة بذات الباريء ـ سبحانه ـ ولا تتعلق بالمشيئة والاختيار، بل لا تنفك عن الرب ـ عزَّوجل ـ بحال من الأحوال، باعتبارها من لوازم الذات الإلٰهية ومنها:

١ـ اليدان:

وإثباتها لله عزَّوجل هو مذهب أهل السنة والجماعة إتباعًا لمنهجهم القويم في صفات الباريء سبحانه وهو وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الصفات إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهًا بلا تحريف ولا تعطيل وذلك خلافًا لما ذهب إليه غيرهم من تأويل اليدين مرة بالنعمة ومرة بالقدرة مما لادليل عليه من كتاب ولا سنة وهذا طرف من كلام علماء وأئمة أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليدين:

أـ قال الإمام: أحمد: «من زعم أنَّ يديه نعمتاه كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] مشدَّدة[2].

ب ـ يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ إنَّ لفظ اليد جاء في

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى.

القرآن على ثلاثة أنواع مفردًا أو مثنى أو مجموعًا فالمفرد كقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[1] والمثنى كقوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[2] والمجموع: ﴿أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾[3] فحيث ذكر الله اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدَّى الفعل بالباء إليهما فقال: ﴿خلقت بيديَّ﴾ وحيث ذكرها مجموعة أضاف إليها ولم يعدِّ الفعل بالباء: فهذه ثلاثة فروق فلا يحتمل: ﴿خلقت بيديَّ﴾ من المجاز[4] ما يحتمله: ﴿عملت أيدينا﴾ فإنَّ كل واحد يفهم من قوله: ﴿عملت أيدينا﴾ ما يفهمه من قوله عملنا وخلقنا كما يفهم ذلك من قوله: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾[5]. وأما قوله: ﴿استكبرت أم﴾ فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى فكيف وقد دخلت عليها الباء وكيف إذا ثنيت.

وسر الفرق أنَّ الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد والمراد الإضافة إليه كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[6]. و﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[7] وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عُدِّي بالباء إلى يده مفردة أو مثناه فهو مما باشرته يده ولهذا قال عبدالله بن عمر: «إنَّ الله لم يخلق بيده إلاَّ

---

(١) سورة الملك، الآية: ١.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٣) سورة يس، الآية: ٧١.

(٤) هذا على سبيل الحكاية عن أصحابه القائلين به وإلاَّ فإنه ـ رحمه الله ـ قد أبطل المجاز بأكثر من أربعين وجهًا في كتابه العظيم الصواعق المرسلة.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الحج، الآية: ١٠.

(٧) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

ثلاثًا خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده وكتب التوراة بيده»[١] فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على كل شيء بالقدرة»[٢].

٢ـ صفة القَدَمْ:

من الصفات الذاتية التي وردت بها الأدلة الصحيحة صفة القدم لله سبحانه وتعالى وهذه الصفة ثابتة على مايليق به سبحانه وتعالى وذلك للأحاديث الصحيحة ومنها:

أـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض»**[٣]

ب ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلَّا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي**

---

(١) لم أجد هذا الأثر فيما بين يدي من المراجع منسوباً إلى ابن عمر وإنما وجدته مرفوعا إلى النبي ﷺ ونصه: **«خلق الله الفردوس بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوارة لموسى بيده»**، رواه البيهقي في الأسماء والصفات: (٣١٨)، والدارقطني في الصفات: (٢٨)، كماوجدته منسوبًا إلى حكيم بن جابر وكعب الأحبار في الشريعة للآجري: (٢٧، ٢٨).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة للموصلي: (٢٧، ٢٨).

(٣) رواه البخاري ح: (٧٣٨٤)، ومسلم: (٢٨٤٨).

ولكل واحدة ملؤها فأما النار فلا تمتلىء فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتليء ويزوي بعضها إلى بعض»[١].

وقد تلقى علماء أهل السنة والجماعة هذه الأحاديث بالقبول وأمرُّوها كما جاءت ولم يخوضوا في الكيفية.

فهذا الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وقد سئل عن الأحاديث يضع قدمه وغيرها؟

يقول: **نمرُّها كما جاءت**[٢].

أما الإمام الترمذي فيقول: «قد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة يذكر فيها أمر الرؤية وأنَّ الناس يرون ربهم وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: نروي هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»[٣].

٣ـ صفة الأصابع:

هذه الصفة ثابتة بالدليل الشرعي الصحيح فقد روى الإمام مسلم في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم**

---

(١) رواه البخاري ح: (٧٤٤٩) ومسلم ح: (٢٨٤٦).

(٢) انظر: ابطال التأويلات للقاضي أبويعلى: (١/ ١٩٥).

(٣) سنن الترمذي: (٤/ ٦٩٢).

قال: ﷺ **اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[(١)]. وعلى هذا الإثبات درج علماء أهل السنة والجماعة كعادتهم في إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات على مايليق بجلال الله عزَّوجل من غير تكييف ولا تمثيل.

يقول الإمام الدارمي[(٢)] في رده على بشر المريسي[(٣)]: «ورويت أيها المريسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» فأقررت أنَّ النبي ﷺ قاله، ثم رددته بأقبح محال، وأوحش ضلال، ولو دفعت الحديث أصلاً كان أعذر لك من أن تُقرَّبه ثم ترده بمحال من الحجج وبالتي هي أعوج فزعمت أنَّ إصبعي الله قدرتاه وكذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي في ملكه فيقال لك أيها المعجب بجهالته: في أي لغات العرب وجدت إنَّ أصبعيه قدرتيه فأنبئنا بها فإنا قد وجدناها خارجة من جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها فكيف صارت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين وكم تعدها قدرة فإنَّ النبي ﷺ قال: «بين

---

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٥٤).

(٢) عثمان بن سعيد الدارمي الإمام العلامة الحافظ الناقد طاف الأقاليم في طلب الحديث وصنف كتابين في الرد على بشر المريسي وعلى الجهمية وفاق أهل زمانه وكان لهجًا بالسنة بصيرًا بالمناظرة قال عنه الذهبي: كان جِذْعًا في أعين المبتدعة مات سنة: ٢٨٠هجرية. سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٣١٩).

(٣) بشر بن غياث المريسي العدوي: معتزلي عارف بالفلسفة رمي بالزندقة وقدأخذ آراء جهم بن صفوان ودعى إليها وروَّج لها: سير أعلام النبلاء: (١٠/ ٢٩٩).

إصبعين من أصابع الرحمن» وفي دعواك هي أكثر من قدرتين وثلاث وأربع حكمت فيها للقلوب بقدرتين وسائرها لما سواها ففي دعواك هذا أقبح وأبين ضلال»[(١)].

٤ـ صفة العلو:

من صفات الكمال للذات الإلٰهية صفة العلو وهي فرع من توحيد الأسماء والصفات والله سبحانه متصف بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، وهذا هو الحق الذي عليه سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان فإنهم يثبتون لله علوه بذاته على جميع خلقه على مايليق سبحانه بلا تشبيه ولا تكييف كما هو الشأن في كل ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ. وسوف أعرض لهذه المسألة بشيء من التفصيل لأهميتها وكثرة المخالفين فيها من الطوائف المبتدعة الذين عطلوا هذه الصفة لاعتمادهم على شبهات باطلة وأوهام واهية، وقد دلَّ الكتاب والسنة المطهرة على اتصاف الله سبحانه بالعلو والفوقية بأنواع كثيرة من الدلالات منها:

أـ التصريح بالعلو المطلق ذاتًا وقدرًا وقهرًا يقول تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[(٢)]. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾[(٣)] و: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣﴾[(٤)].

---

(١) الردعلى بشر المريسي للإمام الدارمي: (٥٩).

(٢) سورة الأعلى ،الآية: ١.

(٣) سورة البقرة،الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٢، ٤٣.

ب ـ التصريح بأنه في السماء لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾[1] والسماء اسم جنس للعالي يتناول كل سماء كالسموات والكرسي والعرش فقوله: في السماء في العلو فهو سبحانه العلي الأعلى.

ومن السنة الدالة على كونه تعالى في السماء ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال: فقسمها بين أربعة نفر عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال يارسول الله اتق الله قال: ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله قال: ثم ولي الرجل قال: خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: لا، لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: إنه يخرج من ضئضئي[2] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وأظنه**

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٢) يريد أن يخرج من نسله وعقبه، النهاية في غريب الحديث: (٣/ ٦٩).

قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[١].

ج - إخباره عزَّوجل بعروج الأشياء وصعودها إليه سبحانه كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٣].

ومن السنة قوله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلَّا الطيب فإنَّ الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل**»[٤].

د - التصريح بالفوقية: كما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[٥].

هـ - التصريح بنزوله سبحانه كل ليلة إلى السماء الدنيا ففي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[٦].

---

(١) رواه البخاري ح: (٤٣٥١)، ومسلم ح: (١٠٦٤).
(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٤) رواه البخاري ح: (٧٤٣٠).
(٥) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٦) رواه البخاري ح: (١١٤٥).

و- الإشارة إليه سبحانه في جهة العلو: حين أشار إليه النبي ﷺ لما كان بعرفة في حجة الوداع فقال: «**وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون**» قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت، ثم قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد**»[(١)].

وهكذا يتبين من خلال ما سبق دلالة الكتاب والسنة على علو الله سبحانه وتعالى على خلقه واستوائه على عرشه وهو ما فهمه سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم فأثبتوا لله العلو على مايليق به سبحانه وهذا عرض لبعض أقوالهم.

أولًا: من الصحابة:

لما قبض رسول الله ﷺ دخل أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - وقبَّله وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا ثم قال: من كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات ومن كان يعبدالله فإنَّ الله في السماء حيٌّ لايموت»[(٢)].

عندما لقي عمر بن الخطاب خولة بنت ثعلبة قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات[(٣)].

وحينما دخل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وهي تحتضر قال لها: «لقد أنزل

(١) رواه مسلم ح: (١٢١٨).
(٢) كتاب العلو للذهبي: (٦٢).
(٣) المرجع السابق: (٦٣).

الله براءتكِ من فوق سبع سماوات»[١].

ثانيًا: أقوال التابعين:

يروي البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إنَّ الله جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته»[٢].

ثالثًا: أقوال بعض الأئمة:

يقول الإمام ابن عبدالبر: «لم يزل المسلمون في كل مكان إذا دهمهم أمر وكربهم غم يرفعون وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عزَّوجل في الكف عنهم»[٣].

٥ـ الساق:

وهي صفة من صفات الذات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة المطهرة الصحيحة فمن الكتاب الكريم يقول عزَّوجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[٤].

ومن السنة المطهرة: حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ الطويل وفيه: «**فيأتيهم الجبّار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلَّا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق: فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمنٍ ويبقى من كان يسجدلله رياءً**

---

(١) المرجع السابق: (٩٦).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: (٤٨٠).

(٣) التمهيد لابن عبدالبر: (٢٢/ ٨١).

(٤) سورة القلم، الآية: ٤٢.

وسمعةً **فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا»**. . إلخ الحديث[١].

وعلماء أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة بما يليق بجلال الله سبحانه، وإليك أخي القاريء هذا القول النفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية والذي سطره ـ رحمه الله ـ في كتابه نقض أساس التقديس، فيقول: «الوجه السادس: لم يتنازع الصحابة والتابعون فيما يذكر من آيات الصفات إلاَّ في هذه الآية: يعني ـ رحمه الله قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٢] بخلاف قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ ونحو ذلك فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أنَّ ذلك صفة لله تعالى لأنه قال: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقًا نكرةً غير معرفة ولا مضافة وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه: «**فيكشف عن ساقه**»[٣].

٦ـ العين:

وهي من الصفات الذاتية الخبرية التي ثبتت بالكتاب والسنة فمن الكتاب الكريم: يقول عزّوجل:

أـ ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾[٤].

---

(١) راه البخاري ح: (٧٤٣٩)، ومسلم ح: (١٨٣).

(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٣) نقض أساس التقديس: (٢٦١).

(٤) سورة هود، الآية: ٣٧.

ب ـ ويقول عزّوجل: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾(١).

ج ـ ويقول سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٢).

أما الأدلة من السنة المطهرة: فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله لايخفى عليكم إنَّ الله ليس بأعور وأشار إلى عينيه وإنَّ المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»**(٣).

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ الله عزّوجل له عينان تليقان بجلاله وهذه أقوال بعضهم.

أـ قال الإمام بن خزيمة: «فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبت الخالق الباريء لنفسه من العين وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد أثبته الله في محكم تنزيله ببيان النبي ﷺ الذي جعله مبينا عنه عزّوجل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٤) فبين النبي ﷺ أنَّ لله عينين فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب(٥).

وقد بوَّب الإمام اللالكائي في أصول الاعتقاد بقول: «سياق ما

---

(١) سورة طه، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٣) رواه البخاري ح: (٧٤٠٧).

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة: (١/ ٩٧).

دلَّ من كتاب الله عزَّوجل وسنة رسوله ﷺ على أنَّ من صفات الله عزَّوجل الوجه والعينين واليدين»[١]

٧ـ الوجه:

من الصفات الذاتية الثابتة لله عزَّوجل بالكتاب والسنة

فمن الكتاب الكريم قوله تعالى:

أـ ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[٢].

ب ـ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[٣].

ج ـ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[٤]

ووجه الدلالة في إثبات صفة الوجه لله عزَّوجل ظاهر في هذه الآيات الكريمة

أما الأدلة من السنة فهي:

حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قسم النبي ﷺ الغنائم يوم حنين وقال رجل: والله إنَّ هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله.. إلخ»[٥].

ب ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في قصة الثلاثة الذين حبسوا في الغار فقال كل واحد منهم: «اللهم إن كنت

---

(١) أصول الاعتقاد للالكائي: (٣/ ٤١٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٥) روه البخاري ح: (٣١٥٠)، ومسلم ح: (١٠٦٢).

فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه»[١].

جـ ـ حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ «إنك لن تُخلَّف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلاَّ ازددت به درجة ورفعة»[٢].

والأئمة من أهل السنة والجماعة يثبتون مادلت عليه تلك الآيات والأحاديث على مايليق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تأويل ولا تعطيل وهذا طرف من أقوالهم:

أـ أورد الإمام ابن خزيمة جملة من الآيات التي تثبت صفة الوجه لله عزَّوجل ثم قال: « فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عزَّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجلَّ ربنا عن مقالة المعطلين»[٣].

ب ـ قال قوام السنة الإمام الأصبهاني: «ذكر إثبات وجه الله عزَّوجل الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء في قوله عزَّوجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾»[٤].

---

(١) رواه البخاري ح: (٢٢٧٢)، ومسلم ح: (٢٧٤٣).
(٢) رواه البخاري ح: (٦٧٣٣)، ومسلم ح: (١٦٢٨).
(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة: (١/ ٢٥).
(٤) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (١/ ١٩٩).

القسم الثاني من الصفات
الصفات الفعلية

وهي تتعلق بمشيئة الله وإرادته سبحانه بحيث إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها وعلى هذا فإنَّ كل صفة فعلية فهي صفة ذاتية من جهة قدرة الله عزَّوجل على فعلها في أي وقت شاء. وهذه أمثلة لبعض تلك الصفات:

١ـ الاستواء:

وهو من الصفات الثابتة لله عزَّوجل بالكتاب والسنة وإجماع السلف الذين كانوا يعتقدون بأنَّ الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله سبحانه وهذه بعض أقوالهم:

أـ سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[١] كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلاَّ مبتدعًا» ثم أمر به فأخرج.

وجميع أئمة الدين كابن الماجشون والأوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كلامهم يدل على مادل عليه كلام مالك من: «أنَّ العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا لأنَّ العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة ومتى جنب

(١) سورة طه، الآية: ٥.

المؤمن طريق التحريف والتعطيل وطريق التمثيل سلك سواء السبيل»[١].

ب ـ قرر الإمام الدارمي هذه العقيدة في إثبات صفة الاستواء فقال: «فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سمواته بائن من خلقه فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلٰهه الذي يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لا يبعد عنه شيء: «لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض»[٢]: سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوًّا كبيرًا[٣].

ج ـ فنَّد ابن القيم ـ رحمه الله ـ إدعاءات المبطلين من المعطلة الذين يعطلون صفة الاستواء ويزعمون أنَّ الاستواء في الآيات الكريمة بمعنى الاستيلاء فقال: في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع الأمة إلاَّ الجهمية ومن وافقهم فإنهم قالوا: «هو مجاز ثم اختلفوا في مجازه والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم وبدَّعهم وضلَّلهم فيه بمعنى استولى أي ملك وقهر، وقالت فرقة منهم: بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهًا كلها لا يعلم أيها المراد إلاَّ أنا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل»، ثم قال رحمه الله: «وهذا الذي قالوه باطل من اثنين وأربعين وجهًا» وسوف أكتفي هنا بذكر الوجه الأول الذي يبطل دعواهم على اللغة بغير ما وردت» قال ـ رحمه الله ـ:

---

(١) فتاوى لابن تيمية: (٦/ ٣٩٨).
(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٣) الرد على الجهمية للدارمي: (٢٧١).

الوجه الأول: أنَّ لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد

فالمطلق: مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[١]. وهذا معناه كمل وتم يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

والمقيد ثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٢] واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه في البقرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣].

وفي سورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[٤]. وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: مقيد بعلى كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[٥].

وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[٧].

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٤.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

(٦) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٧) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها، فهذه معاني الإستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم: «وإنما قاله متأخرو النحاة ومن سلك طريق المعتزلة والجهمية»[1].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الإستواء لله عزَّوجل بما يلي:

أولاً القرآن الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2].

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾[3].

ج ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾[4]

فهذه الآيات وغيرها مما هو في معناها تدل دلالة صريحة واضحة لا تحتمل أي تأويل على أنَّ الله تعالى مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله وكمال عظمته لا يماثله ولا يشابهه شيء من خلقه.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم: (٢/ ٣١٩).
(٢) سورة طه، الآية: ٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

روى أبوبكر الخلال في كتابه «السنة» عن قتادة بن النعمان أنه سمع النبي ﷺ يقول: لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه قال الذهبي رواته ثقات[١].

٢ـ صفة النزول:

وهي من الصفات الثابتة لله عزَّوجل من غير تكييف ولا تمثيل بل على وجه يليق بجلال الله لايعلمه إلاَّ هو إذ هو القائل: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[٢] وأهل السنة والجماعة يثبتون لله هذه الصفة كما يليق بجلاله وهذه بعض أقوالهم:

أـ قال الإمام أحمد: «وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾»[٣].

ب ـ يقرر الإمام الترمذي هذا المعتقد فيقول: «وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف، هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أَمِرُّوها بلا كيف، وهكذا قول

---

(١) العلو للذهبي: ٥٢.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٢٩).

أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه»[١].

ج ـ يذكر الإمام ابن عبد البر أنَّ جمهور أهل السنة يعتقدون نزول الرب ويصدقون بذلك دون تكييف فيقول: «والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون ينزل كما قال رسول الله ﷺ ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة»[٢]

وقد استدل أهل السنة على ذلك بالأدلة الصحيحة الصريحة ومنها:

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»**[٣].

٣ـ الإتيان والمجيء :

وهما صفتان فعليتان يثبتها أهل السنة والجماعة لله سبحانه بما يليق بجلاله عزَّوجل وهذه بعض أقوالهم:

أـ قال ابن جرير في التفسير: «اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فقال بعضهم لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عزَّوجل من المجيء

(١) سنن الترمذي: (٣/ ٤١).

(٢) التمهيد لابن عبد البر: (٧/ ١٤٣).

(٣) رواه البخاري ح: (١١٤٥)، ومسلم ح: (٧٥٨).

والإتيان والنزول وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلاَّ بخبر من الله عزَّوجل أو من رسول مرسل فأما القول في صفات الله وأسمائه فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلاَّ بما ذكرنا وقال آخرون: ثم رجح القول الأول[(١)].

ب ـ قال أبوالحسن الأشعري: وأجمعوا على أنه عزَّوجل يجيء يوم القيامة. ﴿والملك صفا صفًّا﴾[(٢)].

ج ـ أشار الشيخ محمد خليل الهراس إلى ذلك في شرح العقيدة الواسطية فقال: «في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل وهما صفتا الإتيان والمجيء والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل»[(٣)].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذلك بما يلي:

أولًا: من الكتاب الكريم:

أ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[(٤)].

ب ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[(٥)].

---

(١) جامع البيان لابن جرير: (٢/٣٢٩).
(٢) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري: (٢٢٧).
(٣) شرح الواسطية للهراس: (١١٢).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾[١].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

أ ـ حديث أبي هريرة وفيه: «**وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقرب إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[٢].

ب ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الرؤية وفيه: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرَّة فيقول: أنا ربكم**»[٣].

٤ ـ صفة الكلام:

أ ـ صفة الكلام صفة ذات باعتبار نوع الكلام وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله عزَّوجل ومشيئته فهو سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، يتكلم بصوت يُسْمَعُ، يُسْمِعُهُ من شاء من خلقه، سمعه موسى ـ عليه السلام ـ من غير واسطة وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله وسيسمعه المؤمنون في الآخرة ممن سبقت لهم من الله الحسنى نسأل الله أن نكون منهم.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ الله يتكلم وينادي وهذه بعض أقوالهم:

قال حنبل قلت لأبي عبدالله: «الله يكلم عبده يوم القيامة، قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلاَّ الله عزَّوجل، يكلم عبده ويسأله الله متكلم لم يزل الله متكلمًا يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء وليس له عدل

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) رواه البخاري ح: (٧٤٠٥)، ومسلم ح: (٢٦٧٥).

(٣) رواه البخاري ح: (٧٤٣٩)، ومسلم ح: (١٨٣).

ولا مثل كيف شاء وأين شاء»[١].

ب ـ أشار قوام السنة الإمام الأصبهاني إلى إجماع الصحابة والتابعين على ذلك فقال: «خاطر أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ «أي راهن قومًا من أهل مكة» فقرأ عليهم القرآن فقالوا: هذا من كلام صاحبك فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله تعالى ولم ينكر عليه أحد من الصحابة»

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر: «إنَّ هذا القرآن كلام الله».

فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم مثل سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير والحسن والشعبي وغيرهم ممن يطول ذكرهم أشاروا إلى أنَّ كلام الله هو المتلو في المحاريب والمصاحف»[٢].

ج ـ أما شيخ الإسلام ابن تيمية فعندما عرض أقوال الناس في كلام الله ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة فقال: «وقال الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم إنَّ الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الإلٰهية كلام الله تعالى تكلم به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقًا ولا يقولون إنه صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا ولا أنَّ كلام الله تعالى حدث من حيث هو حادث بل مازال متكلمًا إذا شاء وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا يتغير»[٣].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد: (١/٢٨٨).
(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (١/ ٣٣١)
(٣) فتاوى ابن تيمية: (١٢/١٧٣).

عزَّوجل بما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾[١].

ب - قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ﴾[٢].

ج - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣].

ثانيًا من السنة المطهرة:

أ- حديث احتجاج آدم وموسى وفيه: «**قال له آدم ياموسى اصطفاك الله بكلامه**»[٤].

ب - ما ورد في قصة الإفك وقول عائشة - رضي الله عنها - «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى»[٥].

ج - حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وفيه يقول الله: «**ياابن آدم فيقول: لبيك وسعديك فينادي بصوت: إنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**»[٦].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٠.

(٤) رواه البخاري ح: (٦٦١٤)، ومسلم ح: (٢٦٥٢).

(٥) رواه البخاري ح: (٤١٤١)، ومسلم ح: (٢٧٧٠).

(٦) رواه البخاري ح: (٧٤٨٣).

المبحث الخامس
رؤية الله عزّوجل

رؤية الله عزَّوجل في الآخرة من المسائل المهمة في العقيدة والتي تعددت فيها مذاهب الناس نفيًا وإثباتًا، وعلماء أهل السنة والجماعة يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الجنة في الدار الآخرة وهذه بعض أقوالهم:

١ـ أبوبكر الصديق وحذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قالا في قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] أنَّ الحسنى الجنة وأنَّ الزيادة النظر إلى وجه الله[2].

٢ـ الحسن البصري قال في قوله عزَّوجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3] الناضرة الحسنة حسنها الله بالنظر إلى ربها عزَّوجل وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله[4].

٣ـ عقد الإمام ابن خزيمة بابًا بعنوان: «باب ذكر بيان أنَّ رؤية الله يختص بهاأولياؤه يوم القيامة: ثم قال: ويفضل بهذه الفضيلة أولياءه من المؤمنين ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه من مشرك ومتهود ومتنصر ومتحمس[5] ومنافق كما أعلم في قوله:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٢) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد: (٤٧١).

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢، ٢٣.

(٤) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد: (٤٧٩).

(٥) قال صاحب اللسان: الحَمْسُ الضلال والهلكة والشر والحُمسُ قريش؛ لأنهم =

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾[(١)] وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم جل ثناؤه بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيزيد الله المؤمنين كرامة وإحسانًا إلى إحسانه تفضلاً منه وجودًا بإذنه إياهم النظر إليه ويحجب عن ذلك جميع أعدائه»[(٢)].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بالنقل والعقل.

١ـ من النقل: استدلوا بأدلة الكتاب الكريم ومنها:

أـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾[(٣)].

ووجه الاستدلال أنَّ الرؤية لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى ـ عليه السلام ـ لأنه إما أن يعلم امتناعها، أو يجهله، فإن علمه فالعاقل لا يطلب الممتنع، وإن جهله فالجاهل يمتنع أن يكون نبيًّا كليمًا، وأيضًا فإنَّ الله عزَّوجل لم ينكر على موسى ـ عليه السلام ـ

= كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم، والأحمس المتشدد على نفسه في الدين: لسان العرب لابن منظور: (٦/ ٥٧)، وابن خزيمة يعني بالمتحمس الإباضية من الخوارج الذين ينكرون رؤية الله عزَّوجل في الآخرة.

(١) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٢) التوحيد لابن خزيمة: (١٨٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ولم يقل له: لاتجوز رؤيتي أو أنني لا أُرى[١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[٢] ووجه الاستدلال أنه سبحانه لو لم تكن رؤيته ممكنة لما حصل التمدح بقوله ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وهذا يفيد بأنه جائز الرؤية لأن المنفي إنما هو الإدراك لا أصل الرؤية.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٣] وقد فسر كثير من الصحابة والتابعين الحسنى بالجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، كما سبق بيانه.

كما استدلوا على إثبات الرؤية بالأحاديث الصحيحة ومنها:

أـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ ناسًا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة: فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر**» قالوا: لا يارسول الله قال: **هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب**» قالوا: لا، قال: « **فإنكم ترونه كذلك**»[٤].

ب ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته فإن استطعتم**

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم: (٢٢٣).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢، ٢٣.
(٤) رواه البخاري ح: (٤٧٣٧)، ومسلم ح: (١٨٢).

ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا»[١].

ج ـ حديث صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عزَّوجل: تريدون شيئًا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزَّوجل**»[٢]، وأوجه الاستدلال في هذه الأحاديث ظاهرة ولا تحتاج إلى إيضاح.

٢ـ من جهة العقل:

أماستدلالهم على إثبات الرؤية من جهة العقل فبالرغم من أنَّ أكثر العلماء قد ذهب إلي وجوب الاستدلال على إثبات رؤية الله بالأدلة النقلية فقط، لأنَّ الله عزَّوجل أخبر عن نفسه بأنه يرى يوم القيامة وهو أعلم بما يجوز عليه تعالى وأخبر عنه رسوله ﷺ وهو أعرف الخلق بربه تعالى وأعلمهم بما يجوز عليه سبحانه وما يمتنع إلاَّ أنَّ موافقة الدليل العقلي، لِمَا ثبت بالنقل يؤيده ويقويه، ولذا سأذكر بعض الأدلة العقلية التي ذكرها أهل العلم ومنها:

أـ دليل الوجود فإنَّ وجود الله عزَّوجل دليل على جواز رؤيته والذي لا يجوز أن يرى هو المعدوم.

يقول أبو الحسن الأشعري: «ومما يدل على رؤية الله عزَّوجل بالأبصار أنه ليس موجود إلاَّ وجائز أن يُرَىٰ، وإنما لا يجوز أن يُرَىٰ المعدوم، فلما كان الله عزَّوجل موجودًا مثبتًا كان غير مستحيل أن

---

(١) رواه البخاري ح: (٧٤٣٤).

(٢) رواه مسلم ح: (١٨١).

يرينا نفسه عزَّوجل.[١]

ب ـ ومما يدل على رؤية الله بالأبصار: «أنَّ الله عزَّوجل يرى الأشياء وإذا كان للأشياء رائيًا فلا يرى الأشياء من لايرى نفسه وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرينا نفسه»[٢].

نفاة الرؤية والرد على شبههم:

نفاة الرؤية من أهل البدع والضلال كالجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من الخوارج والروافض يعترضون على أدلة أهل السنة والجماعة باعتراضات باطلة وحجج واهية، وينفون عن الله الرؤية مطلقًا لا في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم يرون أنَّ القول بإمكانية الرؤية هدم للتنزيه فوقعوا فيما هو أفظع وهو التعطيل[٣].

وقد استدلوا بأدلة منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[٤] ووجه الدلالة عندهم أنه نفى أن يدرك بالأبصار وما دام الإدراك قد قرن بالبصر فإنه يفيد عدم الرؤية بالبصر وعليه يكون قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ بمعنى لاتراه الأبصار فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك الأبصار[٥].

وحيث أنَّ هذه الآية هي دليل على إثبات رؤية الله كما سبق أن

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري: (١٦).
(٢) المصدر السابق: (١٦).
(٣) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري: (١/ ١٥٧).
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٥) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: (٢٣٢).

ذكرنا إلاَّ أنَّ أهل السنة قد أجابوا على المعتزلة وأبطلوا استدلالهم بها بما يلي:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا ـ يعني ابن تيمية ـ وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي: أنا ألتزم أنه لايحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلاَّ وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدلَّ منها على امتناعها، فإنَّ الله سبحانه ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أنَّ المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال و لايمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوبيًا كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلٰهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية والغنى، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا فإنَّ المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ إنه لايرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له

في ذلك، فإنَّ العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جلَّ جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به إلى أن قال: ـ رحمه الله ـ فقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإنَّ الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية[١].

٢ـ ومن أدلة المعتزلة على نفي الرؤية قوله تعالى. ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[٢] ووجه استدلالهم أنَّ: «لن» تفيد التأبيد وأنَّ موسى ـ عليه السلام ـ لما أفاق قال «سبحانك» أي: أنزهك عما لايجوز عليك وأنَّه تاب مما وقع منه وهو طلب الرؤية[٣] وقد أبطل أهل السنة استدلال المعتزلة بهذه الآية واستدلوا بها على إثبات الرؤية كما سبق أن ذكرنا وأجابوا على المعتزلة بإجابات عديدة نذكر منها إجابة شارح الطحاوية حيث قال:

«وأما دعواهم تأبيد النفي بلن وأنَّ ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة فكيف إذا أطلقت قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[٤] مع

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم: (٢٠١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي: (١٤/ ٢٣٣)، والكشاف للزمخشري: (٢/ ١١٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ﴾(١) ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾(٢) فثبت أنَّ «لن» لا تقتضي النفي المؤبد يقول ابن مالك:

«ومن رأى النفي بـ «لن» مؤبدًا فقوله اردد وسواه فأعضدا»(٣)

أما قول موسى ـ عليه السلام ـ «سبحانك» فلم أطلع على جواب لأهل السنة عليها، وفي اعتقادي أن موسى ـ عليه السلام ـ إنما نزَّه الله عزَّوجل بقوله سبحانك لِمَا رأى من كمال قدرته وعظمته حيث لم يستطع الجبل أن يتحمل قوة نوره سبحانه، وقول موسى ـ عليه السلام ـ «تبت إليك» قال القرطبي: «قال مجاهد: في قوله «تبت إليك» من مسألة الرؤية في الدنيا وقيل: قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات كما مرَّ وقد أجمعت الأمة على أنَّ هذه التوبة ما كانت عن معصية»(٤) وبهذا يتبين تهافت أدلة النفاة في مواجهة الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التي صرحت برؤية المؤمنين لربهم عزَّوجل في جنات النعيم نسأل الله أن يمن علينا جميعًا برؤيته في دار كرامته إنه سميع مجيب.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٣) شرح الطحاوية: (١/ ٢١٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٧/ ٢٧٩).

هل رأى النبي ﷺ ربه عزّوجل في الدنيا:

وقع الخلاف بين أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا منذ عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على قولين:

القول الأول: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه تبارك وتعالى في الدنيا. جاء هذا عن بعض الصحابة منهم: عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقد روى الإمام أحمد في المسند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ربي تبارك وتعالى**» قال عبدالرحمن: وقد سمعت هذا الحديث من أبي أملى عليَّ في موضع آخر[١].

وهذ الحديث وردت فيه الرؤية مطلقة غير مقيدة بالعين أو بالقلب في حين وردت أحاديث أخرى أصح من هذا الحديث عن ابن عباس نفسه قُيِّدت فيها الرؤية مرة بالقلب كما جاء في حديث عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: «رآه بقلبه»[٢] ومرة بالفؤاد كما في حديث أبي العالية الرياحي عن ابن عباس قال: «رآه بفؤاده مرتين»[٣].

وبحمل المطلق على المقيد يزول التعارض الظاهر ويتضح الأمر ويزول اللبس.

القول الثاني: نفي رؤية النبي ﷺ لربه عزَّوجل في الدنيا بعيني

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: (١/ ٢٨٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

(٢) روا مسلم ح: (١٧٦).

(٣) رواه مسلم ح: (١٧٦).

رأسه روي هذا عن عدد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منهم أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ففي الصحيحين عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة فقالت: ياأبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية قلت: ماهن؟ قالت: من زعم أنَّ محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال: وكنت متكئًا فجلست وقلت: ياأم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عزَّوجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[(١)] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[(٢)] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلقه الله عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه مابين السماء إلى الأرض أولم تسمع أنَّ الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[(٣)] أَوَلَمْ تسمع أنَّ الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[(٤)] ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[(٥)] ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٣.
(٢) سورة النجم، الآية: ١٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٥١.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[١] ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين»[٢].

ففي هذ الحديث المتفق على صحته التصريح من النبي ﷺ بنفي رؤيته لربه عزَّوجل حين سألته عائشة عن ذلك وإخباره لها بأنَّ الرؤية المذكورة في الآيتين إنما كانت لجبريل عليه السلام.

وقد نشأ الخلاف بين القائلين بإثبات الرؤية ونفيها من تأويل قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وقوله عزَّوجل: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ فالذين أثبتوا رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا جعلوا الضمائر في رآه في الآيتين عائدة على الله عزَّوجل والذين نفوا الرؤية جعلوها عائدة على جبريل ـ عليه السلام ـ

والذي يتفق مع السياق القرآني أنَّ المرئي هو جبريل لا سيما وقد صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة كما سبق ومنها: حديث عطاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال: رأى جبريل[٣] وبالنظر في أدلة القولين فإنَّ القول بنفي رؤية النبي ﷺ لربه عزَّوجل بعيني رأسه في الدنيا أقرب إلى الصواب وأنَّ ماذهب إليه المثبتون يمكن حمله على رؤية القلب والفؤاد جمعًا بين الأدلة والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) رواه البخاري ح: (٤٨٥٥)، ومسلم ح: (١٧٧).

(٣) رواه مسلم ح: (١٧٥).

المبحث السادس
ثمرات التوحيد

آثار التوحيد الحميدة وفضائله العظيمة لا تعد ولا تحصر ويكفي أنه سبب لكل خير وفلاح في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

١ـ الفوز بالجنة في الآخرة فعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات لايشرك بالله شيئًا دخل الجنة**»[١].

٢ـ تحريم دخول النار، فعن عتبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم على النار من قال: لاإله إلَّا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٢].

٣ـ غفران الذنوب وتكفير السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه عزَّوجل أنه قال: «**ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٣].

٤ ـ الشعور بالأمن والطمأنينة وذهاب القلق والحيرة والاضطراب يقول عزَّوجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ

---

(١) رواه مسلم ح: (٩٣).

(٢) رواه البخاري ح: (٤٢٥)، ومسلم ح: (٣٣).

(٣) رواه الترمذي: (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٣/ ٧٦)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٢٧).

وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1].

٥ ـ التوحيد يورث العبد الخوف من الله، والعلم بأنَّ الله مطلع عليه رقيب على أعماله، فلا يجرؤ على مقارفة الذنوب، أو الوقوع في المحظورات، وبالتالي يستقيم خطوه على درب الحياة، ويكون أهلاً للنجاة من عذاب الله، والفوز برضوانه.

٦ ـ التوحيد خير معين على الاجتهاد في طاعة الله والمسابقة إلى فعل الخيرات حيث تخف عليه متاعب الطاعات لما يرجوه من ثواب ربه وعظيم جزائه.

٧ ـ التوحيد يحرر العبد من عبودية الشهوات والدنيا والملذات ومن رق المخلوقين والتعلق بهم والخوف منهم، والطمع فيما في أيديهم أو العمل لأجلهم، فهو لا يرجو إلَّا الله ولا يخاف إلَّا إياه.

وبالجملة فإنَّ الفوز والنجاح والسعادة والفلاح بحذافيرها وبكامل صورها وأشكالها، وفي الحياتين الدنيا والآخرة إنما تكون لمن حقق التوحيد وتطهر من أدران الشرك، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

الباب الخامس
مايناقض التوحيد

وتحته مباحث:

المبحث الأول: **الشرك**

المبحث الثاني: **الطيرة**

المبحث الثالث: **الرقي**

المبحث الرابع: **التمائم**

المبحث الخامس: **التبرك**

المبحث السادس: **التوسل**

المبحث السابع: **السحر**



المبحث الأول
الشـــرك

الحديث عن التوحيد يستلزم الحديث عما يناقضه من الشرك، لأنه كما قيل وبضدها تتميز الأشياء.

والشرك: هو: أن تجعل لله ندًا أو شريكًا في ربوبيته أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته، وهو المبطل للأعمال والمانع من قبولها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

وحدُّه كما يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: «أن يصرف العبد نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فكل اعتقاد أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر»[2].

وينقسم الشرك إلى قسمين:

أكبر وأصغر.

فالشرك الأكبر: يخرج صاحبه من ملة الإسلام ويوجب له الخلود في جهنم ويحرم عليه الجنة هذا إذا مات على الشرك قال عزَّوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي: (٣١).

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦.

حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[١].

وأنواع الشرك الأكبر، أربعة:

أـ **شرك الدعاء**: وهو اللجوء إلى غير الله بدعائه وقصده قال تعالى عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[٢] فهم يوحدون الله في حال الضيق والشدة فإذا نجاهم أشركوا ودعوا غيره.

ب ـ **شرك النية والإرادة والقصد**: وهو أن يعمل العمل مما يراد به وجه الله عزَّوجل يعمله لغير الله ويقصد به مرادًا آخر فهذا شرك أكبر، قال عزَّوجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[٣] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا، أو صلاةً، أو تهجدًا بالليل، لا يعمله إلاَّ التماس الدنيا، يقول تعالى: أوفِّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله وهو في الآخرة من الخاسرين. وقال قتادة: من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة، وأما المؤمن فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة»[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٣) سورة هود، الآية: ١٥، ١٦.

(٤) تفسير ابن كثير، سورة هود: (٢/ ٤٣٩).

ج ـ **شرك الطاعة**: وهو طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في تحريم ما أحل الله أو إباحة ما حرَّم الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1].

قال ابن كثير: روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأُسِرَت أخته وجماعة من قومه ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فتقدم عدي إلى المدينة وكان رئيسًا في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: بلى: إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فأتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم.

وقال رسول الله ﷺ: **ياعدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال الله أكبر، فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟ ما يضرك أيضرك أن يقال: لاإلٰه إلَّا الله فهل تعلم إلٰهًا غير الله، ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق**»[2].

٢ـ شرك المحبة: وهو محبة غير الله عزَّوجل وتقديم ذلك على محبة الله وأمره ونهيه قال الله عزَّوجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٨).

ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [(١)].

القسم الثاني: شرك أصغر:

وهذا القسم لايخرج صاحبه من الملة ولكنه أعظم من أكبر الكبائر عياذًا بالله من ذلك، وهو أيضًا نوعان: ظاهر وخفي:

فالظاهر: مكون من ألفاظ قولية وأفعال عملية، فمن الألفاظ الحلف بغير الله وقول الإنسان لولا الله وأنت أو هذا من الله ومنك ماشاء الله وشئت، فإنَّ هذا يقتضي المساواة بين الله وبين العبد، وهذا محال، ولكن الصحيح ألا يحلف إلاَّ بالله عزَّوجل، وأن يقول لولا الله ثم أنت أو هذا من الله ثم منك، وماشاء الله ثم شئت.

ومن الأفعال: لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم خشية العين أو الجن فمن فعل ذلك معتقدًا أنها سبب يستدفع بها البلاء وأنَّ الدافع للبلاء هو الله وحده فقد أشرك شركًا أصغر، وإذا فعل ذلك معتقدًا أنَّ هذه الأشياء تدفع البلاء بعد نزوله أو تمنعه قبل حلوله فقد أشرك شركًا أكبر حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، أما الخفي من الشرك الأصغر فهو شرك الإرادات والمقاصد والثبات وهو من أخطر الأشياء الذي قلَّ من ينجو منه، ويتعلق بالرياء والسمعة وإظهار العبادة بقصد ثناء الناس كما يتعلق بإرادة الدنيا ومطامعها وهذا ينافي كمال التوحيد.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :

١ـ الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام بخلاف الشرك الأصغر.

٢ـ الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال أماالشرك الأصغر فإنه يحبط العمل الذي خالطه فقط.

٣ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر ليس كذلك.

٤ـ الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار أما الشرك الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار وإن دخلها.

٥ـ الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة فلا يجوز موالاته مهما كانت قرابته، أما الشرك الأصغر فلا يقطع الموالاة على الإطلاق وإنما يوالي بقدر ما لديه من التوحيد ويعادي بحسب ما فيه من الشرك الأصغر.

المبحث الثاني
الطـــيرة

وأصلها أنَّ العرب كانت تتشائم من السوانح والبوارح[(١)] من الطير والضباء وغيرهما وكان هذا يصدهم عن مقاصدهم فجاء الشرع المطهر فأبطل هذا الأمر ونهى عنه وأخبر أنه لا يؤثر في جلب نفع أو دفع شر[(٢)].

والتطير مناقض للتوحيد لما فيه من نسبة أفعال الله إلى شيء من خلقه، ولما يؤدي من الإعتقاد بأنَّ لتلك المخلوقات الضعيفة تأثيرًا في أقضيته وأقداره سبحانه، وقد سماه النبي ﷺ شركًا ففي سنن الترمذي وغيره، من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة شرك**»[(٣)].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد**

---

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش، ويثيرونها فما تيامن منها وأخذت ذات اليمين سموه سانحًا وما تياسر منها سموه بارحًا وما استقبلهم منها فهو الناطح وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد فمن العرب من يتشائم بالبارح ويتبرك بالسائح ومنهم من يرى خلاف ذلك» مفتاح دار السعادة: (٢/٢٣٩).

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي: (١٢/ ١٧٠).

(٣) رواه الترمذي ح: (١٦١٤)، وقال حديث حسن صحيح وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤٢٩).

أشرك» قالوا: يارسول الله ماكفارة ذلك قال: أن يقول أحدهم: «**اللهم لا خير إلاَّ خيرك ولا طير إلاَّ طيرك ولا إلٰه غيرك**»[١].

وقد اعتنى علماء أهل السنة والجماعة بأمر الطيرة وبالغوا في التحذير منها، لأنها انحراف عن الاعتقاد الصحيح، واليقين الجازم بأنه لا يأتي بالحسنات إلاَّ الله ولا يذهب بالسيئات إلاَّ هو سبحانه.

ووجه منافاة الطيرة للعقيدة الصحيحة ظاهر وهو أنَّ في الطيرة نسبة أفعال الله سبحانه إلى خلقه وذلك باعتقاد المتطير أن ما حصل له إنما هو بسبب المُتَطير منه، وهذا شرك في الربوبية ولذا ردَّ الله على قوم صالح الذين تشاءموا منه، واعتقدوا أنه سبب القحط والجدب الذي أصابهم ردَّ عليهم بأنَّ ما أصابهم إنما هو من عندالله بسبب ذنوبهم ومعاصيهم قال عزَّوجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾[٢].

وعلى هذا فالطيرة منتفية وليس لها أي تأثير والله وحده هو المتفرد بالتقدير والتدبير ولهذا نفاها النبي ﷺ بقوله: «**لا عدوى ولا طيرة**»[٣].

وقد قال الإمام أحمد عن الحديث الذي رواه أبوداود في

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: (٢/ ٢٢٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٦٠٥).

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٥، ٤٧.

(٣) رواه البخاري ح: (٣٧٥٣)، ومسلم ح: (٢٢٢٤).

السنن أنه ﷺ قال: أقروا الطير على مكناتها أي أنها لا تضركم يعني أقروها على كل مكنة ترونها عليها ودعوا التطير بها قال: كان أحدهم يعني في الجاهلية يريد الأمر فيثير الطير فيقال: إن جاء عن يمينه كان كذا وإن جاء عن يساره كان كذا فقال النبي ﷺ في الحديث: «**أقروا الطير على مكناتها فإنها لاتضركم**»(١).

أما قوله ﷺ في الحديث: «لاعدوى ولاطيرة» فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «يحتمل أن يكون نفيًا وأن يكون نهيًا أي لاتتطيروا ولكن قوله في الحديث: لاعدوى ولاصفر ولا هامة، يدل على أنَّ المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي لأنَّ النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي يدل على المنع منه(٢).

أما الفأل فهذا لابأس به فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة وخيرها الفأل**» قالوا وما الفأل يارسول الله: قال: «**الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم**»(٣).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث: «أخبر ﷺ أنَّ الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أنَّ الفأل منها، ولكنه خيرها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه من الرقى

---

(١) رواه أبوداود: (٣/ ٢٥٧)، وصححه الحاكم: (٤/ ٢٣٧)، وأقرَّه الذهبي.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (٣/ ٢٨٠).

(٣) رواه البخاري ح: (٥٧٥٥) ومسلم ح: (٢٢٢٣).

بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركًا لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة فقوله ﷺ: «**لا طيرة وخيرها الفأل**» ينفي عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل، أو شركة ويخلص الفأل منها، وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة وهي أنَّ التطير هو التشاؤم من الشيء المرئى أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبريء من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله والتطير مما يراه ويسمعه وذلك قاطع له من مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[١]. و﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[٢] و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝﴾[٣] فيصير قلبه متعلقًا بغير الله عبادة وتوكلاً، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف الرابط للجأش الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله السار لنفسه فهذا ضد الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحب ﷺ الفأل وأبطل الطيرة»[٤] وحتى يتغلب المسلم على هذه الآفة الخطيرة لابد له من الإيمان الجازم بأنَّ الله هو وحده الذي بيده كل شيء وأنه لاتأثير مطلقًا لتلك الأشياء التي يتشائم منها الإنسان كما أنَّ عليه أن يعلم الثواب

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (٣/ ٣٨٠)

الجزيل المترتب على عدم التطير كما في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين: «**لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[١] وأن يمضي في شؤنه وأموره متوكلاً على الله معتمدًا عليه موقنًا بأنه لاخير إلاَّ خيره، ولا طير إلاَّ طيره ولا إله غيره.

(١) رواه البخاري ح: (٥٧٥٢)، ومسلم ح: (٢٢٠).

المبحث الثالث
الرقى

الرقية هي العوذة التي يُرْقَى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات[١].

وتنقسم إلى قسمين:

الأول: الرقى الممنوعة، وهي التي تكون بالاستعاذة بغير الله والإستغاثة بالجن والإستعانة بالروحانيات مما يضاد العقيدة وينافيها وهي التي عناها النبي ﷺ في قوله: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة من الشرك**»[٢].

الثاني: الرقى المشروعة وهي التي توفرت فيها الشروط التالية:

١ـ أن لاتكون رقية شركية فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يارسول الله كيف ترى في ذلك فقال: «**إعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك**»[٣].

٢ـ ألاَّ تكون رقية سحرية فلا يحل للمسلم أن يذهب إلى السحرة ليطلب منهم الرقية للوعيد الشديد والنهي الأكيد عن إتيان الكهنة والعرافين والسحرة، ففي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام:

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٢/ ٢٥٤).

(٢) رواه أبوداود وابن ماجة، والإمام أحمد في المسند وقال عنه صاحب كتاب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد بأنه حسن: (٥٩)

(٣) رواه مسلم ح: (٢٠٠).

«من أتى كاهنًا أو عرافًا وفي رواية أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[١].

٣ـ أن تكون بعبارات واضحة ومفهومه المعنى فإنَّ ما لا يفهم معناه لا يؤمن أن يكون فيه شرك، وما كان مظنة الشرك، فلا يجوز عمله، ولهذا يقول ابن حجرفي الفتح:

أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أـ أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

ب ـ أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ج ـ أن يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى [٢].

الرقية المشروعة لا تنافي التوكل:

بوّب الإمام البخاري في صحيحه على كراهة التداوي بالرقى والكي فقال: «باب من لم يرق» ثم ساق حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج علينا النبي ﷺ يومًا فقال: **«عرضت عليَّ الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق فرجوت أن تكون أمتي. فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرق الناس ولم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء أبناؤنا فبلغ النبي ﷺ فقال: «هم الذين لايتطيرون ولا يكتوون**

(١) قال عنه صاحب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد بأنه صحيح: (١٥٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (١٠/٢٠٦).

ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يارسول الله قال: «نعملإ. فقال آخر: أمنهم أنا فقال: «سبقك بها عكاشة»[١].

وقد علَّق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: «فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر الأدوية وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

الأول: قاله الطبري وطائفة: أنه محمول على من جارى اعتقاد الطبائعين في أنَّ الأدوية تنفع بطبعها كما كان أهل الجاهلية يعتقدون، وقال غيره الرقى التي يحمد تركها ما كان من كلام الجاهلية ومن الذي لايعقل معناه لاحتمال أن يكون كفرًا بخلاف الرقى بالذكر ونحوه، وتعقبه عياض وغيره بأنَّ الحديث يدل على أنَّ للسبعين ألفًا مزيَّة على غيرهم. وفضيلة انفردوا بها عمن شاركهم في أصل الفضيلة والديانة ومن كان يعتقد أنَّ الأدوية تؤثر بطبعها أو يستعمل رقى الجاهلية ونحوها، فليس مسلمًا، فلم يسلم هذا الجواب.

الثاني: قاله الداوودي وطائفة: إنَّ المراد بالحديث: الذين يجتنبون فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا.

وقد ثبت هذا عن ابن قتيبة وغيره في باب من اكتوى، وهذا اختيار ابن عبدالبر غير أنه معترض بما قدمته في ثبوت الاستعاذة قبل وقوع الداء.

---

(١) رواه البخاري ح: (٥٧٥٢)، ومسلم ح: (٢٢٠).

الثالث: قاله الحليمي: يحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المذكورين في الحديث من غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المعهودة لدفع العوارض، فهم لايعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلاَّ الدعاء والاعتصام بالله، والرضا بقضائه، فهم غافلون عن طب الأطباء ورقى الرقاة ولا يحسنون من ذلك شيئًا، والله أعلم.

الرابع: أنَّ المراد بترك الرقى والكي الاعتماد على الله في دفع الداء والرضا بقدره لا القدح في جواز ذلك لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح، لكن مقام الرضى والتسليم أعلى من تعاطى الأسباب وإلى هذا نحى الخطابي ومن تبعه.

قال ابن الأثير: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلائقها، وهؤلاء هم خواص الأولياء ولا يَرِدُ على هذا وقوع ذلك من النبي ﷺ فعلاً وأمرًا؛ لأنه كان في أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل فكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز فلا ينقص ذلك من توكله؛ لأنه كامل التوكل يقينًا، فلا يؤثر فيه تعاطى الأسباب شيئًا بخلاف غيره، ولو كان كثير التوكل لكن من ترك الأسباب وفوض وأخلص، كان أرفع مقامًا»[(١)].

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية يجيب على الحديث بأنَّ المقصود بهؤلاء أنهم الذين لا يطلبون من أحد أن يرقيهم والرقية من جنس الدعاء فلا يطلبون من أحد ذلك وقد روى فيه «ولا يرقون» وهو

(١) فتح الباري: (١٠/ ٢٢٢).

غلط فإنَّ رقياهم لغيرهم ولأنفسهم حسنة وكان النبي ﷺ يرقي نفسه وغيره ولم يكن يسترقي فإنَّ رقية نفسه وغيره من جنس الدعاء لنفسه وغيره وهذا مأمور به فإنَّ الأنبياء كلهم سألوا الله ودعوه، كما ذكر الله ذلك في قصة آدم وإبراهيم وموسى وغيرهم[1].

وخلاصة القول أنَّ الرقية بكتاب الله عزَّوجل وسنة رسوله ﷺ لا تنافي التوكل بل هي من صميم الإيمان والاعتماد على الله واللجوء إليه في كشف الضرر ودفع البلاء لفعل النبي ﷺ لها بنفسه وبغيره، وكذلك خيار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ولكن بالشروط التي سبق إيضاحها.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١/ ١٨٢).

المبحث الرابع
التمائم

وهي خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام وكانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء[١].

لا خلاف بين أهل العلم في تحريم اتخاذ التمائم أو تعليقها إذا كانت بألفاظ شركية أو بسبب اعتقادات فاسدة وإنما وقع الخلاف بين العلماء في جواز تعليق التمائم إذا كانت من القرآن الكريم أو من أسماء الله وصفاته.

وملخص الخلاف كما يذكره مصنف تيسير العزيز الحميد كالتالي:

«اعلم أنَّ العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته فقالت طائفة: يجوز ذلك وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره، وهو ظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبوجعفر الباقر وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم الشركية.

أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته فكالرقية، بذلك قلت، وهو ظاهر اختيار ابن القيم.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١/١٩٧).

وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم - رضي الله عنهم - وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه فإنَّ ظاهره العموم ولم يفرق بين التي من القرآن وغيرها، بخلاف الرقى فقد فرّق بينهما ويؤيد ذلك أنَّ الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم كما تقدم عن ابن مسعود وأما القياس على الرقية بذلك فقد يقال بالفرق، فكيف يقاس التعليق الذي لا بدَّ فيه من ورق أو جلود ونحوهما على مالايوجد ذلك فيه فهذا إلى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب»[١].

ويقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله -: «وفي التمائم المعلقات التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها، إن تك آيات قرآنية وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات فالاختلاف في جوازها واقع بين السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فبعضهم أجازها يروي ذلك عن عائشة - رضي الله عنها - وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف، والبعض منهم كف - أي منع ذلك وكرهه ولم يره جائزًا - منهم عبدالله بن عكيم وعبدالله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن مسعود، وأصحابه؛ كالأسود، وعلقمة، ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم - رحمهم الله تعالى -، ثم ذهب الشيخ حافظ الحكمي إلى ترجيح المنع: فقال: «ولا شك أنَّ منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور، لاسيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك

---

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله: (١٢١).

العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا، وقت الفتن والمحن، أولى وأجدر بذلك، كيف وهم توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها.

فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لايعرفه إلاَّ من اطلع على كتبهم ، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عزَّوجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه، بل أكثرهم يرجفون بهم، ولم يكن أصابهم شيء، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله، مع علمه أنه قد أولع به، فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك، أو في مالك، أو نفسك كذا وكذا، أو يقول له: إن معك قرينًا من الجن، أو نحو ذلك، ويصف له أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية، موهمًا إنه صادق الفراسة فيه شديد الشفقة عليه حريص على جلب النفع إليه، فإذا امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفًا مما وصف له، حينئذٍ أعرض عن ربه، وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالبه، والتجأ إليه وعوّل عليه دون الله عزَّوجل، وقال له: فما المخرج مما وصفت وما الحيلة في دفعه كأنما بيده الضر والنفع، فعند ذلك يتحقق فيه أمله، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له، فيقول له: إنك إن أعطيتني كذا وكذا، كتبت لك من ذلك حجابًا طوله كذا وعرضه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول وهذا الحجاب علته من كذا وكذا من الأعراض.

أترى هذا مع هذا الاعتقاد من الشرك الأصغر، لا، بل هو تأله

لغير الله وتوكل على غيره، والتجاء إلى سواه، وركون إلى أفعال المخلوقين، وسلب لهم من دينهم، فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل؛ إلاَّ بواسطة أخيه من شياطين الإنس»[١].

والذي أراه في هذه المسألة هو: الحذر والمنع، لما في ذلك من المصلحة وهي سد ذرائع الشرك لأنه إذا استباح الناس التمائم من الآيات والأدعية انفتح باب الشرك واشتبهت التميمة الجائزة بالمحظورة، وتعذَّر التمييز بينهما، إلاَّ بمشقة، فلزم سد هذا الباب المفضي إلى الشرك؛ حماية لجناب التوحيد، بالإضافة لما في ذلك من صيانة القرآن الكريم وذكر الله عزَّوجل، مما قد يتعرض له من الإهانة والإهمال في حالة تعليقه.

---

(١) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي: (٢/ ٥١٠).

المبحث الخامس
التبرك

هو: «طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل مايحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك وتكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتًا شرعيًا وثبتت الكيفية التي تنال بها هذه البركة عن المعصوم ﷺ»[١].

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التبرك المشروع وهو أنواع:

١ـ التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره، فقد وردت الأدلة الصحيحة المتواترة بثبوت ذلك لما جعل الله فيه من بركة خاصة، صلوات الله وسلامه عليه.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنَّ النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عنه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها»[٢]. فإقرار النبي ﷺ لعائشة في فعلها دليل على ثبوتها.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلاَّ غمس يده فيه، فربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده

---

(١) انظر: التبرك للدكتور علي العلياني: (٢١).

(٢) رواه البخاري ح: (٥٧٣٥).